

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الأصابع الذهبية
122
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4-arab.com
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- الأسير ..

لم يكد قرص الشمس يبزغ فى الأفق ، ويلقى أشعته الذهبية على ميناء (تل أبيب) ، حتى دبّ النشاط على نحو يفوق المعتاد ، فى تلك البقعة المحاطة بحراسة شديدة ، فى إحدى الضواحى الهادئة للمدينة ، وبدا طاقم الحراسة الخاص ، الذى يحيط بالمكان طوال الوقت ، فى ثلاث دوريات منتظمة ، وكأنه يستعد اليوم بالذات ، لاستقبال حدث غير عادى ، إذ أمسك رجال الطاقم مدافعهم الآلية بتحفُّز زائد ، وأضيفت سيارة مدرّعة إلى الطاقم ، وتعلّقت أبصار الجميع بالطريق ، فى ترقُّب ملحوظ ..

ثم ظهرت تلك السيارة ..

سيارة سوداء رياضية صغيرة ، من طراز ألمانى شهير ، برزت عند نهاية الطريق ، وهى تنطلق نحو تلك البقعة ، التى لا تحوى سوى مبنى من أربعة طوابق ، تحيط به حديقة واسعة ، تنتهى بسور يبلغ

ارتفاعه ثلاثة أمتار ، له بوابة واحدة ، يقوم على حراستها طاقم خاص ، فى حين انتشر باقى رجال الحراسة فى الحديقة ، يحيطون بالمبنى ، إحاطة السوار بالمعصم ، وكأنه أكثر الأماكن أهمية ، فى (إسرائيل) كلها ..

وعندما اقتربت تلك السيارة الرياضية السوداء ، بدت خلفها فى وضوح سيارة إسعاف كبيرة ، تتبعها كظلها ، وكلتاهما تتجهان نحو المبنى مباشرة ، وعند بوابته ، توقفت السيارتان ، وبرز من السيارة السوداء وجه صارم نحيل ، قال بلهجة آمرة :

- صباح الخير يا رجال .. افتحوا البوابة ، وأبلغوا أدون (جولدمان) أن البضاعة قد وصلت.

أجابه رئيس طاقم الحراسة ، فى لهجة تحمل نبرة حازمة :

- بطاقتك يا أدون (بلو) .

ارتفع حاجبا (دافيد بلو) ، رجل (الموساد) الإسرائيلى ، لحظة فى دهشة ، قبل أن يخفضهما ، وهو يسأل :

- أهى تعليمات جديدة ؟!

أجابه رئيس الطاقم فى آلية :

- نعم يا أدون (بلو) .

مطّ (دافيد) شفتيه معترضًا ، وهزّ كتفيه فى حنق ، إلا أنه أبرز بطاقة هويته الخاصة ، التى فحصها رئيس الطاقم بمنتهى الاهتمام ، قبل أن يعيدها إلى صاحبها ، قائلاً :

- معذرة يا أدون (بلو) ، ولكنه ليس الإجراء الوحيد .

زفر رجل (الموساد) فى ضجر ، وهو يغادر سيارته ، مغمغمًا :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

كان يدرك جيدًا سبب إجراءات الأمن الاستثنائية هذه ، إلا أنه لم يستطع كتمان حنقه وضجره ، وهو يخضع لاختبار فحص البصمات ، واختبار بشرة الوجه بالأشعة فوق البنفسجية ، ثم وهو ينتظر إجراءات فحص سائق سيارة الإسعاف ، والطبيب والممرّض داخلها ، وحتى ذلك المريض الذى استغرق فى نوم صناعى عميق ، قبل أن يشير رئيس طاقم الحراسة بيده ، قائلاً بلهجة لا تحمل أدنى شعور بالخجل أو الاعتذار :

- تفضل يا أدون (بلو) .

انطلق (دافيد) بسيارته عبر الحديقة ، ودار حول المبنى ، ليتوقف أمام باب خلفى خاص ، اندفع منه ثلاثة رجال فى ثياب بيضاء ، راحوا يتعاونون مع ممرض الإسعاف ؛ لنقل المريض البدين إلى محفة كبيرة ، انطلقوا بها عبر الباب الخلفى ، و (دافيد) يراقبهم فى ظفر ، ويشعل سيجارته ، مغمغمًا فى شىء من الزهو :

- عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .

وفى استمتاع ، راح يدخن سيجارته ، وهو يسير على قدميه ، بحذاء جدران المبنى ، حتى بلغ بابه الرئيسى ، فألقى التحية على حارسه الخاص ، وهو يسأله :

- هل أدون (جولدمان) فى مكتبه ؟!

أجابه الحارس ، مؤديًا التحية العسكرية الإسرائيلية :

- من قبل شروق الشمس يا سيدى .

ابتسم (دافيد) ، وهو يستقل المصعد إلى الدور الثالث ، وتمتم وهو يتجه إلى مكتب (مائير جولدمان) رئيس إدارة العمليات الخاصة :

- أراهن على أنه لم يستطع النوم .

واستقبله (جولدمان) فى مكتبه بلهفة واضحة ، وهو يسأله :

- هل أحضرته إلى هنا ؟!

أومأ (دافيد) برأسه إيجابًا ، وقال :

- لقد تم نقله إلى القسم الطبى الخاص ، منذ دقائق قليلة .

تألقت عينا (جولدمان) ، وهو يهتف :

- عظيم .. عظيم .. لست أصدق أننا قد فعلناها ..

وضم قبضته ، وهو يلوح بها فى ظفر ، مستطردًا :

- (قدرى) .. خبير التزييف والتزوير المصرى ، الذى أذاقنا مرار الدنيا لسنوات وسنوات ، أصبح الآن ملك قبضتنا ! من يصدق هذا ؟!

ابتسم (دافيد) فى خبث ، وهو يقول :

- ليس هذا فحسب يا سيدى ، ولكنه سيكون أيضًا الطعم المناسب ، للإيقاع بعدونا اللدود فى قبضتنا .

خبا بريق الظفر من عينى (جولدمان) ، وشحب صوته مع وجهه ، وهو يتمتم :

- أتقصد (أدهم) ؟!

أومأ (دافيد) برأسه إيجابًا ، وقال وهو يضغط كل حروف كلماته :

- نعم يا سيدى .. (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وعاد إلى مقعده فى بطء ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يقول :

- الظفر بـ (قدرى) وحده يعدّ انتصارًا كبيرًا يا (دافيد) .. يكفى أننا قد حرمنا المصريين من براعته ومواهبه الفذة ، وأننا سننتزع منه حتمًا عشرات الأسرار والمعلومات ، عما يدور داخل أروقة جهاز المخابرات المصرى ، ولا داعى لأن نخاطر بإفساد كل هذا ، لمجرد الدخول فى حرب جديدة ، مع (أدهم صبرى) هذا .

شعر (دافيد) بحنق قوى يسرى فى عروقه ، وهو يقول :

- سيدى .. (قدرى) فى قبضتنا ، وسيظل كذلك .. ثم إننا جهاز مخابرات قوى .. بل إننى أعتبر جهازنا هو أقوى جهاز فى العالم أجمع .

مط (جولدمان) شفتيه ، قائلاً :

- ربما لأننا لا نقيم وزنًا لأية قواعد أو قرارات .

أشار (دافيد) بسبابته ، مكملاً :

- أو حتى قوانين .

ثم استدرك فى سرعة :

- المهم أننا أقوى جهاز مخابرات فى العالم ، ولا يمكن أن نشعر بالقلق والخوف ، عندما نواجه رجلاً واحدًا .

ارتفع حاجبا (جولدمان) ، وهو يقول فى دهشة مستنكرة :

- رجل واحد ؟!

ثم عاد ينهض من خلف مكتبه ، مواصلاً فى عصبية :

- أى قول هذا يا (بلو) ؟! إنك تلغى بعبارة واحدة ، ارتباط (أدهم صبرى) بالمخابرات العامة المصرية !! ترى كيف تفكر فى الأمر يا هذا ؟! لقد اختطفنا واحدًا من خبراء المخابرات المصرية ، وإذا ما سعى (أدهم صبرى) لاستعادته ، فلن يكون هذا بصفة شخصية ، بل سيفعلها باعتباره ضابطًا بالمخابرات المصرية ، وهذا يعنى أن الجهاز كله سيكون خلفه .

ابتسم (دافيد) فى ثقة ، وهو يقول :

ـ ولكنه فى النهاية مجرَّد رجل واحد .

ومال نحو (جولدمان) ، مستطردًا :

ـ ثم إنه سيأتى إلى هنا بصفة شخصية ، أكثر منها عملية .

ارتفع حاجبا (جولدمان) فى دهشة ، ثم عادا ينعقدان بشدة ، وهو يسأل فى حذر :

ـ ما الذى تعنيه بالضبط يا (دافيد) ؟!

أشار (دافيد) بيده ، وهو ينهض بدوره ، قائلاً :

ـ عندما ظفرنا بـ (قدرى) ، كان هذا خلال إحدى العمليات ، التى يقوم بها (أدهم صبرى)(*) ، وهذا الأخير له نقطة ضعف واحدة رئيسية ، ألا وهى عاطفته الجيَّاشة ، وارتباطه الزائد عن الحدّ برفاقه وزملائه وأصدقائه ، وشعوره القوى بالمسئولية تجاههم ، وهذه الحماقة هى التى أعتمد عليها ، والتى ستدفع (أدهم صبرى) لمواجهة العالم كله ، من أجل صديقه ، معتبرًا أن هذا واجبه ، ووسيلته الوحيدة للإعلان عن صداقته ووفائه .

(*) راجع قصة (وجه الأفعى) .. المغامرة رقم (١٢١) .

قال (جولدمان) فى توتر :

ـ ولكن هذا غير منطقى ، مهما كانت الظروف والأسباب ، فالمخابرات المصرية ستدرك ، منذ اللحظة الأولى ، أن وقوع (قدرى) فى أيدينا ، هو أكبر طعم ، يمكننا به اصطياد (أدهم) ، لذا فلن يجازفوا بإرساله إلى عريننا مباشرة ، فى محاولة لاستعادة خبير التزييف والتزوير ، وسيرسلون فريقًا آخر بالتأكيد .

هزَّ (دافيد) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مهما فعلوا ، لن يرضى (أدهم صبرى) بهذا قط ، وسيصرّ حتمًا على أن يأتى بنفسه ، وغروره سيصور له أنه يستطيع خداعنا جميعًا ، وتجاوز كل وسائل أمننا ، مهما بلغ تعقيدها ، والوصول إلى صديقه ، وإخراجه من بين أنيابنا ، على الرغم من كل العقبات .

انعقد حاجبا (جولدمان) أكثر وأكثر ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لا .. مستحيل !

اتسعت ابتسامة (دافيد) ، وهو يقول :

ـ ربما ، ولكننى أنصحك باتخاذ كل الإجراءات

اللازمة ، وتأمين كل مداخل ومخارج (إسرائيل) ، البرية والبحرية والجوية ؛ لأن (أدهم صبرى) سيتجاوز كل توقعاتكم ، وكل المنطق والأعراف ، وسيأتى .

ازداد انعقاد حاجبى (جولدمان) ، حتى كادا يمتزجان ببعضهما ، فاتسعت ابتسامة (دافيد) أكثر وأكثر ، وتألقت عيناه على نحو عجيب ، واكتسب صوته ثقة لا حدود لها ، وهو يكرر فى حزم :

- سيأتى .

ولم يعلق (جولدمان) هذه المرة ..

هذا لأن كلمات (دافيد) تغلغلت بالفعل فى كيانه ، وجعلته واثقًا من أن (أدهم صبرى) سيتحدى حتمًا كل العقبات ..

وسيأتى ..

سيأتى ، دون أدنى شك .

★ ★ ★

« هذا جنون حقيقى ! »

هتف أحد رجال المخابرات بالعبارة فى انفعال ، وهو يجلس حول تلك المائدة البيضاوية الكبيرة ،

فى حجرة الاجتماعات الرئيسية ، بالمخابرات العامة المصرية ، قبل أن يستطرد فى توتر :

- الإسرائيليون ليسوا أغبياء .. إنهم يدركون ، منذ اختطفوا السيد (قدرى) ، أنك الشخص الوحيد ، الذى سيهرع لإنقاذه ، حتى ولو ألقى نفسه فى قلب الجحيم ، ومن الواضح أنهم يستعدون جيدًا لاستقبالك ، بدليل أن صورك تملأ المطارات والموانى ، ونقاط التفتيش المنتشرة فى كل الطرقات البرية ، وعلى طول الحدود .. وما أقصده بصورك لا يقتصر على صورتك الشخصية فحسب ، وإنما يمتد إلى كل احتمالات تنكرك ، التى تم صنعها بوساطة برامج كمبيوتر متطورة للغاية .. باختصار ، لقد أصبحت محاولة دخولك إلى (إسرائيل) أشبه بالقفز من برج (القاهرة)[*] ، دون مظلة هبوط .. عملية انتحارية بحتة ، دون أدنى أمل فى النجاة .

(*) برج (القاهرة) : بناء أسطوانى الشكل ، فى منطقة الجزيرة بالقاهرة ، تم تشييده عام ١٩٦١م ، ويبلغ ارتفاعه مائة وثمانين مترًا ، قام بتصميمه وتنفيذه مهندسون مصريون ، جدران مدخله مكسوه برسوم من الفسيفساء ، وعلى قمته مطعم دوّار ، وبأعلاه برج للاتصالات اللاسلكية .

انتهى رجل المخابرات من حديثه ، فاستدارت العيون كلها إلى (أدهم) ، الذى ظلّ صامتًا لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- لا أحد يمكنه إنقاذ (قدرى) سواى .

سرت همهمة متوترة بينهم ، قبل أن يهتف أحدهم :

- معذرة يا سيادة العميد ، ولكنك بقولك هذا توجّه صفعة للجهاز كله ؛ فأنت توحى بأنك الشخص الوحيد الذى يمكنه القيام بمهمة كهذه ، وكأنما لم يعد هناك سواك ، على الرغم من الكفاءة والمهارة ، اللذين يتمتّع بهما العديدون هنا .

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

- لم أقصد هذا إطلاقًا .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا بنفس الحزم :

- ولكننى مازلت أصرّ على أننى الوحيد ، الذى يمكنه التعامل مع أمر كهذا .

عادت تلك الهمهمة تسرى بين المجتمعين ، فنهض من مقعده ، وراح يتحرك فى المكان ، متابعًا :

- وعندما أقول هذا ، فأنا لا أعنى مطلقًا أن الآخرين لا يمكنهم هذا ، وإنما أعنى أن خبرتى فى التعامل مع

الإسرائيليين ، وفى القتال على أرضهم(*) ، وصداقتى القوية لـ (قدرى) ، كلها تجعلنى الشخص المناسب تمامًا للعملية ، طبقًا لكل المعايير المتبعة فى الجهاز ، عند اختيار من يصلح للقيام بمهمة ما ، ثم إن الإسرائيليين لا ينتظروننى وحدى .. ربما يتوقعوننى شخصيًا ، ويتخذون كل احتياطاتهم لاصطيادى هناك ، ولكن هذا لا يعنى أن فرصة الآخرين ستكون أفضل ، فمما لا شك فيه أن الإسرائيليين يتوقعون أن نبذل قصارى جهدنا لاستعادة (قدرى) ؛ باعتباره أهم خبراء التزييف والتزوير لدينا ، وينتظرون من سنرسله لإنقاذه ، أيًا كان ، وهذا يعنى أن كل من سيذهب منا ، سيواجه خطرًا بلا حدود .

قال مدير المخابرات فى صرامة :

- أنت ستواجه عشرة أضعاف هذا الخطر يا (ن - ١) .

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

- ولكننى أتوقعه ، وهذا لصالحى ، فى المرحلة

(*) راجع قصة (أرض العدو) .. المغامرة رقم (٩٣) .

الأولى .. ثم إنهم لن يبدءوا القتال ، إلا عندما أصبح داخل (إسرائيل) بالفعل .

قال أحد الرجال :

ـ بذلك النطاق ، الذى ضربوه حولهم ، لن يمكنك دخول (إسرائيل) ، دون أن يعلموا .

ارتسمت ابتسامة متحدية ، على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

ـ تذكر يا صديقى .. لا يوجد نظام أمنى محكم مائة فى المائة .. هناك حتمًا ثغرة ما ، هنا أو هناك ، وكل مهمتنا هى البحث عن تلك الثغرة ، والنفاذ منها ، قبل أن ينتبه إليها العدو نفسه .

قال رجل آخر فى اهتمام :

ـ وأين الثغرة هنا ؟! لقد فرضوا أقصى درجات الأمن والطوارئ ، على كل مدخل إلى (إسرائيل) ، بريًا وبحريًا وجويًا ؟!

هز (أدهم) رأسه فى بطء ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكنه تأمين دولة ما مائة فى المائة يا رجل ..

أجابه ثالث :

ـ فى هذا العصر ، كل شىء صار ممكنًا يا سيادة العميد ، فأجهزة الفحص والمراقبة ، تتيح تفقد الشريط الحدودى كله فى آن واحد ، ولقد ابتكر الأمريكيون عشرات الوسائل والأجهزة ، فى هذا الشأن ، على حدودهم مع (المكسيك) ، لمنع محاولات التسلل المستمرة إلى (الولايات المتحدة الأمريكية)(*) .

أجابه (أدهم) فى سرعة :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فالعشرات ينجحون فى التسلل أسبوعيًا ، وهذا يؤكد وجهة نظرى ، من أنه لا يوجد نظام أمنى محكم .

قال مدير المخابرات ، وهو يتراجع فى مقعده فى بطء :

(*) تعانى الولايات المتحدة الأمريكية كثرة المحاولات المكسيكية المستمرة ، للتسلل إلى (أمريكا) ، والتى يقوم بها مواطنون بائسون ، يحاولون العيش فى مجتمع أفضل ، ويطلق عليهم اسم (المهاجرون غير الشرعيين) ، وفى كل يوم يتم ابتكار وسائل شتى ، باستخدام أحدث المبتكرات التكنولوجية ، لمنع هذه المحاولات وكشف أمرها .

- الأمر هنا يختلف يا (ن ـ ١) ، فالإسرائيليون لا يركزون جهودهم على منع محاولات التسلل إلى أرضهم بصفة عامة .. إنهم يبحثون عنك بالتحديد .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- هذا لن يصنع فارقًا كبيرًا يا سيدى .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، فاستدرك (أدهم) فى سرعة :

- هذا لأننا سنفاجئهم بدخول غير متوقع ، وغير منتظر .

أطلّ تساؤل عصبى من عينى المدير ، فى حين هتف أحد رجال المخابرات :

- هل تعتقد أنك ستنجح فى العبور إليهم تحت أنوفهم ؟!

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

- بل فوق رءوسهم يا صديقى .

تبادل الرجال نظرة حائرة ، لم يلبث مدير المخابرات أن حولها إلى تساؤل صارم حازم ، وهو يقول :

- ماذا يدور فى ذهنك بالضبط يا (ن ـ ١) ؟!

عاد (أدهم) يشير بيده ، وهو يقول بابتسامة غامضة :

- أن أقتحم حصن الإسرائيليين ، وأستعيد صديقى (قدرى) من بين أيديهم .

حدّق الجميع فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف أحدهم مستنكرًا :

- هكذا ؟! بهذه البساطة ؟!

ولوح آخر بيده ، قائلاً :

- ستكون هذه أكثر خطة مباشرة ، قام بها أى جهاز مخابرات ، فى العالم أجمع .

انعقد حاجبا (أدهم) ، على الرغم من ابتسامته الغامضة الكبيرة ، وهو يقول :

- ومن قال : إنها خطة مباشرة ؟!

تبادل الرجال نظرة أخرى متوترة ، قبل أن يقول المدير فى صرامة ، وهو يشير إلى (أدهم) إشارة متوترة :

- (ن ـ ١) .. كف عن أسلوبك المسرحى هذا ، وعد إلى مقعدك ، لتشرح لنا كل ما لديك .

ثم لوح بسبابته ، مستطردًا :
ـ وبكل التفاصيل .
ابتسم (أدهم) ، قائلاً :
ـ بالتأكيد يا سيادة المدير .
وفى هدوء ، عاد إلى مقعده ، وبدأ يشرح خطته وبأدق التفاصيل ..
واستمع إليه رفاقه بانتباه كامل ، واتسعت عيونهم عن آخرها لبعض الوقت ، وندت من بعضهم كلمات تشف عن انبهارهم ، فى أوقات أخرى
وعندما انتهى من حديثه ، بدأ الجميع فى مناقشة ما طرحه ..
واستغرقت تلك المناقشات ثلاث ساعات كاملة
وفى النهاية ، تمت الموافقة على ذهاب (أدهم صبرى) إلى (إسرائيل) ، لإنقاذ (قدرى)
وبالإجماع ..

* * *

« أين أنا ؟! »
غمغم (قدرى) بالعبارة ، وهو يسترجع وعيه فى بطء ، وتصاعدت الآلام فى بطء ، من موضع إصابته

إلى دماغه ، فتأوه بصوت مكتوم ، وفتح عينيه فى صعوبة ، ليحدق فى ذلك الشخص النحيل ، الحاد القسمات الذى يقف أمامه ، مبتسمًا فى ظفر ، داخل الحجرة البيضاء الصغيرة ، التى يرقد فيها ، والتى بدت أشبه بحجرات المستشفيات ، ثم لم يلبث أن هتف فى شىء من الخوف :
ـ من أنت ؟!
أشار الرجل بيده ، فى حركة مسرحية مبتذلة ، وهو يجيب :
ـ (دافيد بلو) فى خدمتك ، يا صاحب الأصابع الذهبية
هم (قدرى) بقول شىء آخر ، ولكن (دافيد) تابع بعينين متألقتين :
ـ وهذا يعيدنا إلى سؤالك الأول " أين أنت ؟" والواقع أن الجواب لن يروق لك كثيرًا يا سيد (قدرى)
ومال نحوه ، مكملاً بلهجة ، اشتم فيها (قدرى) رائحة السخرية والتشفى :
ـ أنت الآن فى قلب البيت الكبير .
ردد (قدرى) فى حذر :

- البيت الكبير ؟! لم أسمع هذا الاسم من قبل قط !

أجابه (دافيد) بضحكة ساخرة كبيرة، قبل أن يقول :

- بالطبع، فهذا مصطلح خاص للغاية، ولم ينشأ إلا منذ أيام قليلة، عندما أقمنا هذا الحصن الجديد، وأحطناه بأحدث نظم ووسائل الأمن والحراسة، حتى أن البعوضة نفسها لا يمكنها أن تنفذ إليه، حتى لو ارتدت ما تطلقون عليه في (مصر) اسم (طاقية الإخفاء) (*)، دون أن تكشف أمرها.

غمغم (قدري) مبهوتا :

- في (مصر) ؟! ماذا تعني بهذا ؟!

(*) طاقية الإخفاء: فكرة شعبية، انتشرت بشهرة في الفترات [illegible] في (مصر)، حول غطاء [illegible] بسيط (طاقية) [illegible] الفرد على خفاء من يرتديه عن الأعين [illegible] من الجن [illegible] المعتاد)، وبعد [illegible] السينما الفكرة، وصنعت منها فيلمين [illegible] بعنوان (طاقية الإخفاء)، في عام ١٩٤٠م، قام ببطولته (بشارة واكيم) و(محمد الكحلاوي) و(تحية كاريوكا) و(فردوس محمد)، والآخر [illegible] (طاقية الإخفاء) في عام ١٩٥٩م، وقام ببطولته (عبد المنعم إبراهيم) و(توفيق الدقن) و(برلنتي عبد الحميد)، و[illegible] من إخراج (نيازي مصطفى) الذي [illegible] في [illegible] السينما أيضا.

تطلع إليه (دافيد) بضع لحظات، بابتسامته الكبيرة الساخرة، قبل أن يميل نحوه، قائلا :

- أراهن على أن لهجتي المصرية الخالصة قد خدعتك، وكذلك ملامحي الشرقية، ومعرفتي لمصطلحاتكم وكلماتكم العامية الدارجة. وهذا يملأ نفسي زهوا وغرورا في الواقع. ولكن الأمر سيختلف بالنسبة لك حتما، فالمعرفة لن تملأ نفسك إلا رعبا وهلعا.

كان هذا ما يشعر به (قدري) بالفعل، وهو يسأل بصوت مرتجف :

- من أنت ؟! أين أنا بالضبط ؟!

مال (دافيد) نحوه أكثر وأكثر، وتطلع إلى عينيه مباشرة، وهو يجيب :

- في (إسرائيل).

انفجرت شهقة رعب، من أعمق أعماق (قدري)، وخيل إليه أن آلام إصابته قد تضاعفت ألف مرة، وهو يصرخ :

- (إسرائيل) ؟!

تراجع (دافيد)، مطلقا ضحكة ساخرة مجلجلة، شامتة، وكأنما راق له ما فجره في أعماق (قدري)



تفجرت شهقة رعب ، من أعمق أعماق (قدرى) ، وخيل إليه أن آلام إصابته قد تضاعفت ألف مرة

من رعب هائل ، ثم تحرك فى الحجرة ، قائلا فى زهو :

ـ نعم يا صاحب الأصابع الذهبية .. يا خبير التزييف والتزوير المصرى .. إنك الآن فى قلب (إسرائيل) ، وبين أصابعنا نحن .. فى قبضتنا .. لقد أحضرناك من (الولايات المتحدة الأمريكية) إلى هنا رأسا ، تحت أنف صديقك وبطلك الأسطورى (أدهم صبرى) ..

وأطلق ضحكة أخرى ، قبل أن يتابع :

ـ كان يمكننا أن نقتلك هناك .. وكان هذا سيكفى للقضاء على كل ما تمثله لنا من خطر ، وليفقد المصريون واحدا من أفضل خبرائهم ، وأقوى أسلحتهم ، فى عالمك السرى الغامض .. ولكن قتلك ما كان ليحقق الهدف الثانى ، والأكثر أهمية ، لهذه الخطة المزدوجة الرائعة .

وتوقف ، ليلتفت إلى (قدرى) ثانية ، ويتطلع إلى عينيه مباشرة ، فى تحد مزهو ، قائلا :

ـ الإيقاع بـ (أدهم صبرى) نفسه ..

شهق (قدرى) مرة أخرى ، وتأوه فى ألم ، وهو يعتدل فى فراشه ، مرددا فى ذعر :

- (أدهم) ؟!

أشار (دافيد) بيده ، قائلاً :

- نعم .. (أدهم صبرى) .. أسطورتكم المدهشة ، التى تمنحكم نقطة تفوق كبيرة ، وسط أجهزة المخابرات الأخرى .

شعر (قدرى) بخوف رهيب ، يسرى فى كيانه ، ويجرى فى عروقه مجرى الدم . إلا أن كل هذا لم يلبث أن تحول بغتة إلى غضب هادر ، جعله يقول فى حدة :

- يمكنكم أن تحاولوا أيها الأوغاد ، ولكنكم لن تنجحوا فى الإيقاع بـ (أدهم) أبدا .. مهما فعلتم

ابتسم (دافيد) فى سخرية ، وهو يقول

- هذا ما يصوره لكم غروركم .. وغروره أيضا .. لقد صرتم تتصورون أنه ليس بشريا ، وإنما أحد أنصاف الآلهة .. الذين لا يأتيهم الموت أبدا

قال (قدرى) فى تحد :

- (أدهم) مجرد بشر .. مثلنا ، ولكنكم لن تظفروا به .

لوح (دافيد) بيده ، قائلاً :

- أتعشم أن يتصور هو أيضا هذا ، عندما يأتى إلى هنا لإنقاذك .

امتقع وجه (قدرى) ، وهو يقول :

- (أدهم) يأتى إلى هنا ؟!

أومأ (دافيد) برأسه إيجابا ، وهو يقول

- بالتأكيد .. لن يمكنه مقاومة هذا .. لقد راهنت على رد فعله العاطفى المغرور بألف دولار ، وأتمنى ألا يضطرنى لخسارتها .

قال (قدرى) فى عصبية :

- كم يدهشنى غباؤكم أيها الإسرائيليون !! ألا تتعلمون أبدا ؟! كم مرة حاولتم الإيقاع به ، ثم انتهى الأمر بصفعة على قفاكم ؟! كم مرة تصورتم أنه فى قبضتكم ، وبين أصابعكم ، ثم فوجئتم به يركل مؤخراتكم فى سخرية ؟!

هز (دافيد) كتفيه فى لا مبالاة ، قائلا

- كان هذا فيما مضى .

ثم عاد يميل نحو (قدرى) ، مستطردا فى حزم

- أما فى هذه المرة ، فالأمر يختلف كثيرا

واعتدل فى حركة سريعة ، متابعا :

- لقد درست كل خطوة قام بها (أدهم) هذا ، منذ بدأ مرحلة الصراع العلنى معنا ، وغذيت الكمبيوتر بأدق تفصيل كل مواجهة ، بينه وبيننا ، أو حتى بينه وبين أية جهة أخرى .. المخابرات الأمريكية ، والسوفيتية ، ومنظمة (المافيا) ، و(سكوربيون) ، وحتى صراعاته مع (سونيا جراهام) والسنيورا ، ومنظمتيهما الخطيرتين ، وتركت للكمبيوتر بعدها استنباط ما سيقدم عليه (أدهم صبرى) ، لدخول (إسرائيل) .

قال (قدرى) فى حدة :

- وهل تعتقد أن الكمبيوتر يمكنه أن يهزم (أدهم صبرى) ؟!

هزّ (دافيد) رأسه فى بطء ، مجيبًا :

- الكمبيوتر يمنحنا رأيه فحسب .

ثم أشار إلى رأسه فى حزم ، مستطردًا :

- ونحن نتخذ القرار .

وتألقت عيناه مرة أخرى ، وهو يشد قامته ، مضيفًا :

- وفى هذه المرة ستكون القرارات كلها صائبة .

هتف (قدرى) :

- هذا لا يكفى ، للإيقاع برجل مثل (أدهم) .

ابتسم (دافيد) ، قائلا فى سخرية :

- إنه سيأتى حتمًا .

قال (قدرى) فى سرعة :

- أنا واثق من هذا ، ولكنكم لن تظفروا به .

تابع (دافيد) ، وكأنه لم يسمعه :

- وسيبذل قصارى جهده ، لابتكار وسيلة غير متوقعة ، لدخول (إسرائيل) .

وتألقت نظرة ساخرة فى عينيه ، وهو يضيف :

- وكم سيدهشه أن يجدنا - على الرغم من هذا - فى انتظاره ؟!

قالها ، وتفجّرت من حلقه تلك الضحكة الساخرة ، بأعنف مما حدث ، فى كل المرات السابقة ..

وعلى نحو مختلف تمامًا ..

ففى هذه المرة ، لم تحمل ضحكته السخرية وحدها ..

لقد حملت معها أيضًا الشماتة

والشراسة .

والثقة ..

كل الثقة .

* * *

٢ـ الخــدعة ..

« صباح الخير يا (منى) .. »

نطقت (جيهان) العبارة في هدوء ، وهي تدلف الى حجرة (منى) ، في المستشفى ، فتلتفت اليها هذه الأخيرة في شرود ، متمتمة :

ـ صباح الخير يا (جيهان) .. كيف حالك ؟

ربتت (جيهان) على مقعدها المتحرك ، قائلة بابتسامة باهتة :

ـ كما ترين .

ثم دفعت مقعدها نحو فراش (منى) ، مستطردة :

ـ اراهن على ان سبب هذا الشرود هو فارسك المشترك .

تطلعت اليها (منى) بنظرة خاوية لبعض الوقت ، قبل أن تشير بيدها ، مجيبة :

ـ لقد انصرف منذ قليل .

اومأت (جيهان) برأسها متفهمة ، وهي تقول :

ـ أعلم هذا .. لقد أتى لزيارتي أيضًا

غمغمت (منى) :

ـ حقًا ؟!

اجابت (جيهان) بايماءة رأس اخرى ، وقالت في اهتمام :

ـ هل علمت أن (قدري) لم يعد من (نيويورك) ؟

أجابتها (منى) ، وهي تحاول الاسترخاء في فراشها :

ـ نعم .. أعلم هذا .

تلفتت (جيهان) حولها في حذر ، قبل أن تميل نحوها ، هامسة :

ـ هل تعلمين أين هو الآن ؟!

هزت (منى) رأسها نفيًا في بطء ، وهي تجيب :

ـ كلا للأسف ..

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

ـ أنت تعلمين (أدهم) .. كتوم كبئر مهجور ، منذ ألف عام .

تراجعت (جيهان) في بطء ، وتلفتت حولها مرة أخرى ، ثم قالت في صوت خافت :

ـ أنا أعلم أين هو .

سألتها (منى) فى دهشة ، لم تخل من نبرة غيرة واضحة :

- هل أخبرك (أدهم) بأمره ؟!

لوحت (جيهان) بيدها نفيًا ، وهى تقول :

- مطلقًا .. لقد قضى معى خمس دقائق فحسب ، وكل ما أخبرنى به هو أن مؤسسته فى (نيويورك) أبلغته بأمر شريحة إليكترونية جديدة ، تساعد المصابين مثلى على المشى ، ثم وعدنى بإبلاغى المزيد عنها ، عندما يعود من مهمته القادمة

رددت (منى) بأنفاس مبهورة :

- مهمته القادمة ؟! هل علمت ما هى ؟!

لوحت (جيهان) بيدها ، مجيبة :

- استعادة (قدرى) بالطبع .

سألتها (منى) ، وهى تبلل شفتيها الجافتين بلسانها :

- هل تعلمين أين (قدرى) ؟!

أجابتها (جيهان) ، فى شىء من الزهو :

- بالطبع .. ما زال لدى أصدقاء عديدون فى الجهاز .

سألتها (منى) فى لهفة :

- وأين هو ؟!

تلفتت (جيهان) حولها مرة أخرى ، قبل أن تعود للميل نحوها ، هامسة بلهجة تشف عن خطورة الجواب :

- فى (إسرائيل) .

اتسعت عينا (منى) ، وتراجعت فى فراشها ، مطلقة شهقة قوية ، وهى تهتف :

- (إسرائيل) ؟!

لوحت (جيهان) بيدها فى توتر ، تدعوها لخفض صوتها ، قبل أن تهمس فى عصبية :

- نعم .. لقد اختطف الإسرائيليون (قدرى) من (نيويورك) ، و (أدهم) سيذهب لاستعادته

غمغمت (منى) فى ارتياع :

- سيذهب إلى (إسرائيل) ؟!

أومأت (جيهان) برأسها إيجابًا ، وقالت :

- أظنه فى طريقه إليها الآن .. هذا ما علمته من مصدر موثوق به .

اتسعت عينا (منى) مرة أخرى ، وهى تقول :

- رباه ! ولكنهم سينتظرونه هناك حتما

هزت (جيهان) كتفيها ، قائلة :

- لست أخشى عليه منهم .

ثم ابتسمت في خبث ، مستطردة :

- ولو أنني أحمل في أعماقي ذرة من الشفقة تجاههم ، لخشيت عليهم منه .

قالت (منى) في عصبية :

- الأمر لا يحتمل المزاح .

ارتفع حاجبا (جيهان) في دهشة ، ومالت نحو (منى) ، قائلة :

- لماذا هذا الانفعال يا (منى) ؟! أنت وأنا عملت كثيرا وطويلا مع (أدهم) ، إلى الحد الذي يكفي لنثق تماما بقدراته ومهاراته ، وندرك أنه قادر على الخروج من أصعب وأشق المواقف

هزت (منى) رأسها في قوة ، قائلة في توتر بالغ :

- لست أدري يا (جيهان) ، ولكنني أشعر أن الأمر سيختلف كثيرًا هذه المرة .

انتقل توترها وقلقها إلى (جيهان) ، التي ازدردت لعابها ، متسائلة :

- ولماذا ؟!

صمتت (منى) بضع لحظات ، قبل أن تعود لهز رأسها في بطء ، وهي تقول بصوت حمل قلق الدنيا كلها :

- لست أدري يا (جيهان) .. لست أدري .

نطقتها ، فران على الحجرة صمت رهيب ، مع تلك الموجة العارمة من الخوف والقلق ، التي سرت في عروقهما ، وأطلت من عيونهما ، وهما تتطلعان إلى بعضهما ، وقد وقر في قلبيهما أن هذه المواجهة مع الإسرائيليين ، ستختلف عن كل ما سبقها .

ستختلف كثيرًا ..

* * *

تلامست أصابع كفي (دافيد بلو) أمام وجهه ، وهو يتابع على شاشة الكمبيوتر ، كل إجراءات أمن الطوارئ ، التي تم فرضها على كل مداخل (إسرائيل) ، وعلى طول شريطها الحدودي ، وراجع بنفسه نتائج فحص جوازات السفر ، الخاصة بكل من عبر الحدود إلى داخل (إسرائيل) ، خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ، قبل أن يسترخي في مقعده بارتياح ، قائلا لمساعده (بن عازار) :

ـ لن يمكنه المرور ، دون أن تكشف أمره

ـ سأله (بن عازار) فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن يصل ، عبر أحد المنافذ الرسمية ؟!

مطّ (دافيد) شفتيه بصع لحظات ، قبل أن يجيب

ـ (أدهم صبرى) سيفعل ما لا يمكنك أن تتوقعه قط .

هزّ (بن عازار) كتفيه ، وقال :

ـ ولكن ليس عبر المنافذ الرسمية .. إنهم يعلمون أننا نفحص كل جوازات السفر .

لوح (دافيد) بيده ، قائلاً

ـ من الممكن أن يكون جواز السفر سليمًا ، ولكن صاحبه ليس كذلك .

أطل تساؤل حائر من عينى (بن عازار) ، فتابع (دافيد) :

ـ المصريون يمكنهم سرقة أو شراء جواز سفر ، يخص شخصًا حقيقيًا ، اعتمادًا على أن رجلهم (أدهم صبرى) هذا عبقرى ، فى فن التنكر ، حتى إنه يستطيع انتحال شخصية صاحب الجواز ، دون أن يتطرّق إليه أدنى شك .

غمغم (بن عازار) مبهورًا :

ـ كيف يمكنك الإيقاع بشخص كهذا إذن ؟

ابتسم (دافيد) فى ثقة ، قائلاً :

ـ اطمئن يا رجل .. لقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة هذه المرة ، بدقة لن تخطر ببال المخابرات المصرية قط ، مهما بلغت عبقريتهم .

ثم أشار إلى الكمبيوتر ، مستطردًا :

ـ والفضل فى هذا يعود إلى التكنولوجيا الأمريكية ، التى تصلنا فور ظهورها فى (أمريكا) نفسها .. فهذا الكمبيوتر الذى تراه أمامك ، لديه القدرة على استنتاج كل ما يمكن أن يفعله أى شخص ، ما دمت تمنحه كل المعطيات اللازمة عنه .. باختصار .. إنه نسخة من عقل (أدهم صبرى) .

حدّق (بن عازار) فى الكمبيوتر ، متمتمًا :

ـ أهذا ممكن ؟

سأله (دافيد) فى صرامة :

ـ ولم لا ؟ قلت لك : إنها أحدث تكنولوجيا أمريكية .. ألم تسمع عما يطلقون عليه اسم (الذكاء الصناعى) ؟!

هتف (بن عازار) :

ـ بالطبع يا أدون (بلو) . إنه ذلك الجيل من أجهزة الكمبيوتر ، الذى يمكنه ايجاد حلول لمشكلات لم يتعرض لها من قبل ، بناء على حصيلة خبراته ، من مشكلات أو برمجيات سابقة ، كما يمكنه تطبيق قواعد المنطق ، على كل ما يواجهه ، ويمزج كل هذه العوامل ببعضها ، للوصول إلى الحل النهائى .

أطلق (دافيد) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول .

ـ بالضبط . إنه تعريف مدرسى ممتاز ، ينطبق على اجيال شتى من أجهزة الكمبيوتر ، بدرجات متفاوتة ، ولكن هذا الكمبيوتر على قمة الهرم إنه يمتلك ذكاء صناعيًا ، بدرجة تبلغ ثمانين فى المائة من الذكاء البشرى المتفوق .

غمغم (بن عازار) فى حذر :

ـ الذكاء البشرى ما زال متفوقًا إذن

هز (دافيد) رأسه نفيًا فى صرامة ، وهو يقول :

ـ من الناحية الفلسفية فحسب يا رجل ، فأية مواجهة لا تعتمد على درجات الذكاء وحدها ، ولكن على عوامل أخرى لا حصر لها ، وفى هذا المضمار ،

فسرعة رد فعل هذا الكمبيوتر تبلغ أربعة أضعاف سرعة رد فعل مقاتل فذ ، من مقاتلى القوات الخاصة ، من الفئة (ا) ، وقدرته على دراسة الموقف تبلغ عشرة أضعاف قدرة الإنسان فوق المتوسط ، كما أن ..

ثم بتر عبارته ، وكأنما أصابه الضجر من شرح الأمر ، ولوح بيده ، قائلاً :

ـ المهم أنه من المستحيل أن يصمد (أدهم صبرى) ، أمام مواجهة كهذه .

هزّ (بن عازار) رأسه متفهمًا ، ثم لم يلبث أن سأل فى اهتمام :

ـ ولكن لو أن هذا الكمبيوتر ماهر بهذا القدر ، فلماذا لم يستنتج الوسيلة ، التى سيأتى بها (أدهم صبرى) إلى (إسرائيل) ؟!

امتلأ وجه (دافيد) بابتسامة واثقة كبيرة ، وهو يقول :

ـ ومن قال إنه لم يفعل ؟!

هتف (بن عازار) مبهورًا :

ـ حقًا ؟!

أومأ (دافيد) برأسه إيجابا ، وهو يقول فى ثقة :

- بالتأكيد ، ولقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة ، بشأن هذا الأمر أيضًا .

ولم يستطع (بن عازار) كتمان لهفته ، وهو يسأله :

- ومن أين سيأتى ؟!

أشار (دافيد) بسبابته الى سقف الحجرة ، مجيبا

- من أعلى !

وكان صوته يحمل كل الحزم ..

وكل الثقة ..

* * *

« نحن فوق الهدف مباشرة يا سيادة العميد »

نهض (أدهم) من مقعده ، داخل تلك الطائرة ، التى تحلق على ارتفاع كبير للغاية ، فوق المنطقة الوسطى من (إسرائيل) ، فور سماعه عبارة الطيار ، التى نقلتها مكبرات الصوت ، وراح يتأكد من المظلة التى يحملها ، ومن قناع الأكسجين الصغير فوق أنفه ، ومدرب القفز يقول فى اهتمام

- قناع الأكسجين هذا ضرورى لعملية أيها العميد ،

فنحن نحلق على ارتفاع كبير جدا ، لتفادى الرادارات الإسرائيلية الحديثة ، ولاحظ أن تلك الرادارات تختلف تماما عن أجدادها الأوائل ، فهى قادرة على كشف ورصد أية أجسام ، مهما بلغ صغرها ، ما دامت ستدخل فى نطاقها ، كما أن وسائل الرصد الحديثة تضيف استخدام الأشعة تحت الحمراء ، للرؤية الليلية المباشرة ، وعندما تقفز من هذه الطائرة ، سيكون عليك أن تتفادى كل هذا ، وتصل إلى الأرض سالمًا ، فى الوقت ذاته ، وطبقًا لآخر ما لدى من معلومات ، فهذا مستحيل تقريبًا .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- اطمئن يا رجل .. إننا قادرون على التفوق عليهم دائمًا .

تنهد المدرب ، وأومأ برأسه ، متمتما

- أتمنى هذا ، فهذه أول مرة نهبط فيها وسط أرضهم عمدًا ، منذ انتهت مرحلة الحروب المباشرة بيننا وبينهم(*)

(*) أعلنت (مصر) رسميا انتهاء حالة الحرب ، بينها وبين (إسرائيل) بعد توقيع معاهدة السلام ، فى عام ١٩٧٩م

اتجه (أدهم) نحو باب القفز ، وهو يقول فى هدوء :

- لا تقلق يا رجل .. سنثبت لهم انه ما زالت توجد ثغرة فى نظامهم الأمنى المحكم

ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يتابع مصباح العد التنازلى ، مضيفا :

- ثغرة اسمها (المصريون) :

مع اخر حروف كلماته ، أضىء المصباح الأحمر ووثب (أدهم) ..

ومع وثبته ، بدأ عده التصاعدى طبقا للارتفاع الذى حدده خبراء الطيران المصريون(*)

كان المنظار الخاص بالرؤية الليلية ، الذى يرتديه على عينيه ، يتيح له رؤية الجبال ، التى يتجه نحوها بسرعة كبيرة ، وعقله يستعيد الموقف كله

لقد كان الهبوط بالمظلة ، هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى قلب (اسرائيل) ، فى ظل كل إجراءات الأمن والطوارئ الحالية ..

(*) يبدأ العد ، عند القفز بالمظلات ، بألف وواحد .. ألف واثنان .. وهكذا .

ولكن حتى هذا لم يكن سهلا او ميسورا

فالرادارات التى حصلت عليها (اسرائيل) من (امريكا) موخرا ، تمتاز بدقة وحساسية لا مثيل لها

وهذا يعنى انه ، فى ظل ترقب وصول (ادهم) ، سيصبح من السهل كشف امره ، لو حاول الهبوط بالمظلة ، فى أى مكان من (اسرائيل)

اضف الى هذا ذلك النظام الجديد ، الذى يستخدم الاشعة تحت الحمراء ، للرؤية الليلية المباشرة ، وستجد ان الامر كله يندرج تحت قائمة المستحيل !

لولا أمر واحد ..

أن الرجال فى (القاهرة) لا يعترفون بكلمة (مستحيل) .

وخاصة مع وجود رجل مثل (ادهم صبرى)

رجل المخاطر والمصاعب ..

رجل المستحيل !

لذا فقد راح فريق من خبراء المخابرات والطيران يدرس الامر ، فى وجود اثنين من خبراء الهبوط بالمظلات السابقين

و(أدهم صبرى) نفسه ..

وبدقة لا مثيل لها ، تمت دراسة خريطة (اسرائيل)

كلها ، ومراجعتها مع كل ما لدى المخابرات العامة من معلومات ، حول مواقع أجهزة الرادار ، ونقاط الرصد والمراقبة ، بالأشعة دون الحمراء

وأخيرا ، تم اختيار بقعة محدودة للهبوط

جبال (الخليل) ..

والواقع أن هذا الاختيار قد تم ، اعتمادا على خبرة (أدهم) ومهاراته بالتحديد ، إذ إن الجميع يعلمون أن الهبوط في منطقة جبلية أشد صعوبة بعشرات المرات ، من الهبوط في المناطق الصحراوية أو المائية .

أو حتى الغابات الكثيفة ..

وخاصة لو تم هذا الهبوط ليلاً ..

ولأن هذه الظروف مجتمعة ، تجعل الأمر شبه مستحيل ، وقع اختيار الجميع عليه

ولقد وافق (أدهم) مباشرة ..

بل هو الذي أيد الفكرة في البداية

فلما كان الهبوط في منطقة ما مستحيلا ، كان ابتعاده عن تفكير وخطة الإسرائيليين أيضا

وكان على الخبراء الانتقال إلى المرحلة التالية

تأمين عملية الهبوط ، إلى أقصى حد ممكن

وهذا ما كان عقل (أدهم) يراجعه ، وهو يهبط

بهذه السرعة الفائقة ، نحو جبال (الخليل)(*)

لقد كان يرتدي زيا خاصا ، من لون أسود داكن للغاية ، ومادة لديها القدرة على امتصاص الضوء كله ، دون أن تعكس منه شيئا يذكر ..

وكان هذا كفيلا بخداع تلك الرادارات الحساسة(**)

ولكن بشرط واحد ..

ألا يفتح مظلته ، إلا على ارتفاع منخفض للغاية

وكان هذا أكثر مراحل المهمة خطورة

أن يصل جسده إلى صخور الجبال ، بهذه السرعة المخيفة

ففي تلك اللحظات بالذات ، كان الأمر يعتمد على عناية الله (عزَّ وجلَّ) ..

وعلى مهارات (أدهم) ..

كل مهاراته ..

(*) عجمة الجديدة الأرضية - ١٠٨١ سم/ث ,ش

(**) تم إنتاج الطائرات المعروفة باسم (الشبح) اعتمادا على بعض النظريات الخاصة بانعكاس وانكسار الضوء ، أهمها هو أن اللون الأسود الداكن يمتص كل الضوء ، ولا يعكس منه ما يكفي أجهزة الرادار لكشف وجود الجسم ، وهذا ينطبق على الموجات أيضا

لذا ، فقد استنفر حواسه كلها ، وهو يقترب من الجبال أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعندما صار على ارتفاع ثلاثين مترا فحسب من الصخور ، جذب حبل المظلة ..

وبسرعة كبيرة ، انفتحت مظلته ..

كانت مظلة خاصة ، تبلغ مساحتها ضعفي مساحة المظلات العادية ، وتم صنعها من نفس القماش الأسود الداكن ، الذى صنع منه زى (أدهم)

وعلى الرغم من حجم المظلة وقوتها ، فإنها لم تنجح فى التخفيف من سرعة هبوط (ادهم) ، إلا بقدر ضئيل ، لم يكن يكفى لمنع جسده من الارتطام بالصخور ، على نحو كفيل بتمزيقه إربا

وبكل قوته ، جذب (ادهم) خيطا اخر فى زيه الاسود

وفى لحظات ، اندفع الهواء المضغوط ، من اسطوانة الاكسجين الصغيرة ، ليملأ الزى ، الذى انتفخ كبالون كبير ، وتدفق عبر غلافه المزدوج نوع من الاسفنج السائل ، وهو يقترب من الصخور بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

وعندما أصبحت المسافة بينه وبين الارض ثلاثة امتار فحسب ، ضم أطرافه كلها بعضها إلى البعض ، و

وحدث الارتطام ..

وعلى الرغم من كل الاحتياطات ، ومن المرونة المدهشة ، التى يتمتع بها (ادهم) ، والتى جعلته يدفع جسده إلى الاتجاه الصحيح ، لتفادى الاطراف الحادة للصخور ، إلا أن الصدمة كانت عنيفة للغاية ، حتى إن زيه الممتلئ بالهواء المضغوط تفجر وتمزق بدوى مكتوم ، وشعرت عظامه كلها وكأن مطرق من الصلب قد هوت عليها بلا رحمة ، وتحطم جزء من الخوذة التى يرتديها ، مع قناع الاكسجين

وكان كل هذا كفيلا بتفجير الام لا حدود لها فى كل شبر من جسده ، الى حد افقاده الوعى ، إلا أنه سيطر على الامه بإرادة فولاذية ، وقاوم تلك الغيبوبة العنيفة فى بسالة مدهشة ، وهو ينهض من سقطته ، ويكتم تأوهته فى اعماقه ، ويلملم مظلته الكبيرة فى سرعة ، متمتما فى سخرية

ـ عظيم الالام لا تتجاوز ما يمكن أن يحدث .

إذا ما عبرت فوقى احدى معدات البيئة النقيلة

كان يشعر برغبة عارمة فى الاستلقاء وسط الصخور ، والتقاط أنفاسه ، والحصول على قدر من الراحة ، بعد هذا السقوط العنيف ، إلا أنه كان يدرك جيدًا أن لكل ثانية ثمنها ، فى هذه المرحلة بالذات ، لذا فقد جمع مظلته داخل الحقيبة ، وأخفاها بين الصخور ، ثم نزع عنه ذلك الزى الأسود الممزق ، وهو يغمغم

ـ على الرغم من كل ما أشعر به ، أعتقد أن المرحلة الأولى قد تمت بنجاح .

تحرك فى خفة ، لا تتناسب مع آلامه العديدة ، وهو يهبط وسط صخور الجبل ، متخذا مسارًا خاصًا ، تم تحديده مسبقًا ..

كانت عقارب الساعة تقترب من الحادية عشرة مساء ، عندما بدأ عملية الهبوط ، وهو يتحرك فى حذر بالغ ، متفاديًا كل الأماكن ، التى يمكن أن تتواجد فيها نقاط تفتيش إسرائيلية ، و ...

وفجأة ، سقطت تلك الأضواء ..

كانت تنبع من نقطة تبعد عشرين مترًا فحسب عنه ، حتى إنه وثب بسرعة ، يحتمى بصخرة كبيرة بارزة ، وهو يتمتم :

إلا أن الصدمة كانت عنيفة للفتاة ، حتى إن زيه الممتلئ بالهواء المضغوط تفجر وتمزق بدوى مكتوم

- تُرى هل ...

لم يكن قد أتم تساؤله ، عندما برز ذلك الفريق من الجنود الإسرائيليين فجأة ، من بين الصخور ، وهم يحملون مدافعهم الآلية ومسدساتهم في تحفز ، وكل منهم يمسك مصباحًا يدويًا كبيرًا ، على نحو يوحي بأنهم يبحثون عن شيء ما ..

أو شخص ما ..

وقبضت أصابع (أدهم) على مقبض مسدسه الآلي في قوة ، وهو يراقب ذلك الفريق ، المكون من عشرة جنود ، في حذر بالغ ، وهم يواصلون بحثهم وسط الصخور ، وقائدهم يقول في حزم صارم

- ابحثوا في كل مكان .. لا نريده أن يفلت منكم أبدًا

وانعقد حاجبا (أدهم) في شدة ..

لم يكن من صالحه أن تبدأ المواجهة الآن ، في قلب جبل (الخليل) ، قبل أن يصل إلى (تل أبيب)

لم يكن هذا من صالحه أبدًا ..

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه

فمع حركة هؤلاء الجنود وأسلوبهم ، كان من الواضح أنهم يتجهون نحو البقعة ، التي يختفي فيها مباشرة

وكان هذا يعني أن المواجهة قد صارت حتمية

وأن الخطة المعقدة ، التي وضعتها مجموعة الخبراء ، قد فشلت مع الخطوة الأولى

وأن الفشل ذريع ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

ران صمت تام ثقيل ، على حجرة الاجتماعات الصغيرة ، في مبنى المخابرات العامة ، وقد انهمك كل من فيها في مراجعة عشرات التقارير والبيانات ، قبل أن يقطع أحدهم ذلك الصمت بزفرة حارة ، جعلت الجميع يلتفتون إليه في اهتمام ، فلوح بذراعه ، متسائلا :

- هل تعتقدون أنه قد هبط بنجاح ؟!

جاوبه زميل له بزفرة أكثر حرارة ، وهو يغمغم :

- الصياغة الصحيحة للسؤال هي .. هل وصل إلى الأرض قطعة واحدة ؟!

كان من الواضح أن هذا لم يرق لمدير المخابرات ، الذي قال في صرامة :

- لن نعرف أبدًا ، حتى يصل إلى (تل أبيب)

قال أحدهم في توتر :

- كان ينبغى أن يمنحنا أية إشارة ، على وصوله سالمًا .

هز المدير رأسه نفيًا ، وهو يقول فى صرامة :

- أنتم تعلمون أن هذا غير ممكن ، فأية إشارة يمكن ان تجذب انتباه فرق المراقبة الاسرائيلية المتحفزة .

ثم أشاح بوجهه عنهم ، مستطردًا :

- لا مفر من أن ننتظر .

راجع رجل آخر أوراقه ، ثم سأل فى اهتمام :

- متى يتم اللقاء ، بينه وبين (س ١٠٠) ؟

أجابه المدير فى صرامة :

- فى الوقت المتفق عليه

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم

- لو سار كل شىء على ما يرام .

تمتم الأول فى خفوت :

- بل لو وصل إلى الأرض سالمًا .

التفت إليه المدير فى حركة حادة ، قائلاً

- لا تكرّر هذا الأمر ثانية .

ارتبك الرجل ، مغمغمًا :

- بالتأكيد يا سيادة المدير .. بالتأكيد .

أشار المدير بيده ، وهو يعتدل فى مقعده ، قائلاً بصرامته المعهودة :

- والآن دعونا من هذا العبث ، ولنراجع الأمر كله مرة أخرى سنترك لـ (أدهم) دوره ، ونهتم نحن بدورنا .

ثم التفت إلى مساعده ، قائلاً :

- أين (ماجد) و (أيمن) الآن ؟!

أجابه مساعده فى اهتمام :

- لقد وصلا إلى (لندن) ، منذ نصف الساعة تقريبًا ، وسينقلهما زورق خاص ، عبر بحر (المانش) إلى (فرنسا) ، حيث سيستقلان القطار فى السادسة صباحًا ، من (باريس) إلى (برن) ، ومن هناك ستنقلهما الطائرة ، فى رحلتها التقليدية إلى الهدف ، فى السادسة من مساء الغد .

شبك المدير أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يسأل :

- وماذا عن جوازى سفرهما ؟!

أجابه فى سرعة :

- كلاهما يحمل الجنسية الأمريكية بالفعل

أومأ المدير برأسه ، مغمغمًا :

- عظيم .

لم يكد ينطق كلمته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فى حجرة الاجتماعات الصغيرة ، فالتقط مساعده سماعته فى سرعة ، وهو يقول :

- ماذا هناك ؟!

وامتقع وجهه على نحو ملحوظ ، وهو يستمع إلى محدثه ، ثم لم يلبث أن تساءل فى توتر شديد :

- ومتى حدث هذا ؟!

التفت إليه الجميع فى قلق ، وانتظروا حتى انهى المحادثة ، ثم سأله المدير فى قلق .

- ماذا هناك ؟!

رفع المساعد عينيه إليه فى توتر ، وهو يجيب .

- (من ١٠٠) أرسل برقية لاسلكية شفرية عاجلة ، يقول فيها إن الإسرائيليين يفتشون جبل (الخليل) .

هوى قوله على الجميع كالصاعقة

فالمواجهة المبكرة ، فى هذه المرحلة ، تعنى أن العملية قد فشلت ..

تمامًا .

* * *

٢ - الطريق إلى (تل أبيب) ..

تحفزت كل عضلة فى جسد (أدهم) ، وهو يرفع مسدسه الآلى ، خلف الصخرة التى يحتمى بها ، وعيناه تتابعان ذلك الفريق الإسرائيلى ، الذى يقترب بمصابيحه الضوئية منه أكثر ..

وأكثر

وأكثر ..

كان يدرك جيدًا أن بدء المواجهة الآن يعنى الفشل الأكيد ..

ولكن ما باليد حيلة ..

الشىء الذى يقلقه بالفعل هو كيف ؟!

كيف كشف الإسرائيليون أمر هبوطه ، فى جبل (الخليل) ؟!

كيف أمكنهم رصده ، مع كل الاحتياطات ، التى تتخذها الخبراء المصريون ؟!

لقد تمت دراسة الأمر بمنتهى الدقة ، وبناء على

اخر المعلومات ، التى جمعتها المخابرات المصرية ، من قلب السجلات الإسرائيلية السرية

وطبقا لتلك المعلومات ، لم يكن من الممكن كشف هبوطه ، في هذه البقعة بالذات !!

فماذا حدث ؟!

ترى هل استخدم الاسرائيليون أجهزة كشف جديدة ؟!

أم أنه كانت لديهم معلومات مسبقة ، عن موعد ومكان هبوطه ؟!

« ها هو ذا .. »

انفجرت الصيحة فجأة ، على مسافة ثلاثة أمتار منه ، فتحرك بسرعة بالغة ، و

وفجأة وثب شخص اخر ، من خلف صخرة قريبة .

شاب فى أواخر العشرينات من عمره على الأرجح ، يرتدى زيا شبيها بأزياء قوات الصاعقة المصرية ، ويحيط رأسه وعنقه بذلك الوشاح الفلسطينى الشهير

وبحركة مدهشة ، راح ذلك الشاب يعدو بين الصخور ، وكأنما يعرف خط سيره مسبقًا ، واندفع الجنود الإسرائيليون خلفه ، وهم يطلقون صيحات تحذيرية ، ودوت رصاصاتهم فى المكان

ولكن الشاب كان يثب من مكان إلى آخر ، كما لو كان ارنبا نشطًا ، دون ان تصيبه رصاصة واحدة من رصاصاتهم ، مما زاد من غضبهم وثورتهم ، خاصة وهم يتعثرون بين الصخور ، فى محاولة للحاق به

وانعقد حاجبا (أدهم) بشدة ..

إذن فهو لم يكن الهدف المنشود ..

لقد كان شخصًا آخر ..

احد شباب المقاومة الفلسطينية على الأرجح

راودته فكرة العدو خلف الإسرائيليين ، وانقاذ الشاب من بين أيديهم ، إلا أنه سرعان ما نفضها عن عقله ، حتى لا تحدث تلك المواجهة المبكرة ، التى حذره الجميع منها .

وفى خفة ، وباستخدام منظاره الخاص بالرؤية الليلية ، واصل هبوط الجبل ، ودوى الرصاصات يتسلل إلى أذنيه من بعيد ، موحيًا بأن مطاردة ذلك الشاب لم تنته بعد ، حتى بلغ سفح الجبل ، فتحرك فى خطوات سريعة ، حتى النقطة المتفق عليها ، و ...

وفجأة ، سطعت أضواء أخرى ..

في وجهه مباشرة هذه المرة ..

كانت سيارة (جيب) عسكرية إسرائيلية ، تنطلق نحوه مباشرة ، على نحو جعله يرفع مسدسه الآلي في مواجهتها ، وهو يغمغم :

- فليكن يا (أدهم) .. لا مفر من المواجهة يا رجل ، فلتقاتل بكل قوتك إذن

ولكن السيارة (الجيب) توقفت على قيد خمسة أمتار منه ، وعلى ضوء مصابيحها شاهد ضابطًا إسرائيليًا يقفز منها ، ويلوح بيده ، هاتفًا :

- هل أشرقت الشمس مبكرًا اليوم ؟

التقط (أدهم) العبارة ، وقال في سرعة ، وهو يقاوم دهشته :

- ما تراه هو ضوء القمر ، المنعكس على سطح بحيرة من الرمال ..

هتف الإسرائيلي :

- أسرع إذن ، قبل أن يضرب الضوء المنعكس عيون فئران الجبل .

كانت العبارات الشفرية هي نفسها المتفق عليها ، كما أن (أدهم) كان يدرك جيدًا أنه سيلتقي بالعميل

(س ١٠٠) ، في هذه البقعة بالذات ، وأنه أحد أفراد الجيش الإسرائيلي ، ولكن مبعث دهشته كان طبيعة الصوت نفسه

كان صوت أنثويًا

وعندما وثب (أدهم) إلى تلك السيارة (الجيب) ، كانت لديه فرصة كافية ، ليلقي نظرة على صاحبة الصوت ..

كانت سيدة شقراء ، في أواسط الثلاثينات من عمرها ، جميلة الملامح ، أقرب إلى الروسيات منها إلى الإسرائيليات ، وترتدي زي رائد بالجيش الإسرائيلي ..

وبسرعة ، عادت تلك الشقراء إلى مقعد القيادة ، وهي تقول في حزم :

- ستجد كل شيء في المقعد الخلفي .. زي عسكري إسرائيلي ، وكل الأوراق الخاصة به ، وأدوات التنكر التي طلبوا إعدادها .

راجع تلك الأشياء في سرعة ، وهي تنطلق بالسيارة ، وسألها ، وهو يبدل زيه بذلك الزي العسكري ، في المقعد الخلفي :

- هل يمكننا ان نصل الى (تل ابيب) الليلة ؟!
أجابته فى حزم :
- سأبذل قصارى جهدى .
واصل عمله فى دقة وسرعة ، وهو يغمغم
- للحظات تصورت ان الاسرائيليين قد كشفوا أمر هبوطى هنا . وان الخطة قد فشلت . ثم فوجئت بأنهم يطاردون أحد رجال المقاومة الفلسطينية
قالت بلهجتها الحازمة :
- إنه يعمل لحسابنا .
ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :
- حقًا ؟!
قالت ، دون أن تلتفت إليه :
- من المؤكد أنه لمحك تختبئ هناك ، وإلا ما أبرز نفسه للإسرائيليين قط .
قال ، وهو يضع بعض اللمسات على وجهه ، لتتوافق صورته مع صاحب الهوية العسكرية
- أتعنين انها كانت عملية لتأمينى فحسب
أجابت فى صرامة :
- بالضبط .

قال بصرامة مماثلة :
- فى المرة القادمة ، لا احب أن يواجه احد الخطر من أجلى .
أجابت فى سرعة :
- إنها أوامر (القاهرة) .
كان أسلوبها جافًا قاسيًا ، على نحو لم يرق له أبدًا ، وهو ينتقل إلى المقعد المجاور لها ، قائلا
- ولكنهم يفحصون الوجوه أيضًا ... أليس كذلك ؟!
أجابته بنفس الصرامة :
- هذا ينطبق على المدنيين . أما نحن ، فالمفترض أننا إحدى فرق الفحص والتفتيش والمتابعة ، وأوراقنا كلها سليمة ، فلا داعى للخوف .
هتف :
- الخوف ؟!
ثم انطلقت من حلقه ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول متهكمًا :
- اطمئنى .. لست أعانى هذا الأمر .
مطت شفتيها ، قائلة :
- آه ... نسيت أنك رجل المخابرات المصرى

الأسطورى ، صاحب قلب الأسود ، الذى لا يخشى شيئا . ويتعامل مع الجميع باعتباره أقل منهم

قال فى دهشة مستنكرة :

ـ من أين أتيت بهذه الفكرة العجيبة عنى ؟!

قالت فى سخرية عصبية :

ـ وهل تنقصك الشهرة ؟!

رمقها بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

ـ (س ـ ١٠٠) .. هل تؤدين هذا العمل على الرغم منك ؟!

لم يكد يتم قوله ، حتى ضغطت فرامل السيارة بكل قوتها ، لتوقفها على نحو مباغت ، كاد يفقده معه توازنه ، قبل أن تلتفت إليه ، قائلة فى حدة :

ـ اسمع يا سيد (أدهم) .. إننى أعمل لحساب المخابرات المصرية منذ خمس سنوات كاملة ، وأنفذ ما يطلب منى دون مناقشة ، ولم يطالبنى أحد ، خلال كل هذه الفترة ، بأن أحب ما أفعله

واجهها فى صرامة ، قائلاً :

ـ حب العمل أو بغضه أمر يخصك ، ولكن أخشى أنك مضطرة للقيام به على خير وجه ، ودون تلك الروح العدوانية المستفزة .

شعر بالغضب يلتهم ملامحها كلها ، قبل أن تعاود الانطلاق بالسيارة ، قائلة :

ـ المهم أن أؤدى العمل بنجاح .

رمقها بنظرة أخرى ، ثم استرخى فى مقعده ، دون أن يتبادل معها كلمة أخرى ، وهى تنطلق ـ بنجيب ـ عبر الجبال والمزروعات ، إلى أن قطعت الصمت قائلة بنفس الصرامة الجافة :

ـ ستستوقفنا نقاط مراقبة عديدة ، فى الطريق إلى (اللد) و (الرملة) ، ولكن أسوأها تلك التى تحيط بـ (تل أبيب) ، والأفضل أن نستعد لمواجهة تلك الأخيرة من الآن .

أجابها فى برود :

ـ عندما نصل إلى هناك ، لن تكون هناك مشكلة .

التفتت إليه بحركة حادة ، ورمقته بنظرة محنقة ، قبل أن تلتفت مرة أخرى إلى الطريق ، قائلة :

ـ هذا ما تتصوره .

أجابها بنفس البرود :

ـ هذا شأنى .

قالت فى تحد :



تلتفت إليه بحركة حادة ، ورمقته بنظرة محنقة ، قبل أن تلتفت مرة أخرى إلى الطريق ..

- إنهم ينتظرونك شخصيًا هناك .

قال ، وهو يسترخى فى مقعده أكثر :

- شيكن

رمقته بنظرة جانبية ، قبل أن تقول فى مزيج من الصرامة والعناد :

- حسن يا سيد الأبطال .. إنه ضدك على أى حال

أغلق عينيه ، واسترخى فى مقعده أكثر ، وهو يقول ببرود كالثلج :

- بالضبط .. إنه شأنى

مطت شفتيها ، وكتمت حنقها لأنه لا يبالي بالأمر ، وزادت من ضغط قدمها على دواسة الوقود ، لتزيد من سرعة السيارة أكثر وأكثر ، دون أن تتبادل معه حرفًا واحدًا ..

أما هو ، فقد تساءل فى أعماقه : لماذا تتعامل معه (س ١٠٠) على هذا النحو ؟!

لماذا تبغضه بكل هذا العنف ؟!

لماذا ؟!

ظل يبحث عن الجواب بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن ألقى الموضوع برمته خلف ظهره ، وهو يراجع الخطة فى ذهنه ، و ..

.. اعصف بـ (هرقل) .. حانت لحظة المواجهة الأولى(*) .. »

اعتدل في مجلسه مع قوله ، وانعقد حاجباه في شدة

فقد كانت هناك دورية عسكرية اسرائيلية كبيرة تعترض الطريق ..

دورية لديها مجموعة كاملة من الصور له

مجموعة تكفي لكشف تنكره ..

[illegible]

* * *

« خطأ .. أكبر خطأ .. »

هتف مدير المخابرات المصرية بالعبارة في حنق ، وهو يلوح بالبرقية الشفرية ، التي ارسلتها (س ١٠٠) ، مستطردًا :

ـ ما كان ينبغي أن ترسل (س ١٠٠) هذه البرقية أبدًا ، مهما كانت الظروف .

(*) [illegible] (هرقل) [illegible]

قال أحد الرجال في توتر :

ـ لقد حاولت تنبيهنا فحسب .

صاح المدير :

ـ خطأ .. في مثل هذا الموقف تعتبر أية اشارة لاسلكية خطأً فادحًا ، حتى ولو كان الاسرائيليون يجهلون الشفرة ، التي نستخدمها في اتصالاتنا .

قال رجل آخر :

ـ من المؤكد أن (س ١٠٠) قد استخدمت جهاز البث الخاص ، الذي منحناها اياه ، والذي يمكنه بث رسالة كاملة ، من مائة سطر ، خلال ثانية واحدة .

قال المدير في غضب :

ـ ماذا أصابكم يا رجال المخابرات ؟! أين عقولكم ؟! أين قدرتكم على تمحيص ما يحدث ؟! المشكلة الرئيسية أيها السادة ليست في نوع البث ، أو سرعته ، أو الشفرة المستخدمة في ارساله .. المشكلة الحقيقية هي حدوث البث من الأساس ، فمع تحفز الاسرائيليين ، وتوقعهم لوصول (الدهم) ، في أية لحظة ، ستعمل أجهزة الاعتراض اللاسلكي لديهم بأقصى طاقتها ، وستلتقط أي بث ، مهما بلغ صغره ، وهنا ستثور في أعماقهم الشكوك ،

وسيحددون موقع البث ، وهنا تكمن المشكلة

تبادل الرجال نظرة قلقة ، قبل أن يسأل أحدهم

- هل تعتقد أنهم سيتحركون بالسرعة اللازمة يا سيدى ؟!

أشار المدير بيده ، قائلاً

- فى ظل هذه الظروف ، يكون الجواب هو نعم سيتحركون بسرعة الصاروخ ، ما دامت الشكوك ستولد فى كياناتهم .

تمتم أحدهم :

- يا إلهى !

زفر المدير فى حدة ، وألقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الثانية عشرة والربع ، وهو يقول

- يبدو أنها ليلة لن تنتهى أبداً .

سأله مساعده فى اهتمام قلق :

- ما الذى يمكن أن نفعله الآن يا سيدى ؟

أطلق مدير المخابرات زفرة أخرى ، قبل أن يجيب فى حنق :

- لا شىء للأسف يا رجل لا شىء ليس أمامنا فى هذه المرحلة سوى الانتظار فقط الانتظار

وفى هذه المرة ، تبادل الجميع نظرة أخرى صامتة

ومفعمة بالقلق ..

كل قلق الدنيا ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (دافيد بلو) فى شدة ، وهو يراجع تقارير الكمبيوتر للمرة العاشرة ، قبل أن يشير إلى أحد الأسطر ، قائلاً :

- ما هذا بالضبط ؟!

تطلع (بن عازار) إلى ما يشير إليه رئيسه فى اهتمام ، قبل أن يقول فى حذر :

- إنه مجرد بث لاسلكى يا أدون (بلو)

قال (دافيد) فى عصبية :

- أى نوع من البث هذا ؟ إنه لم يستغرق سوى جزء من الثانية .

عاد (بن عازار) يتطلع إلى البث ، الذى التقطته أجهزة الاعتراض اللاسلكية (*) ، ثم قال مترددا

(*) أجهزة الاعتراض اللاسلكية اسم يطلق على أجهزة لاسلكية تقتصر مهمتها طوال الوقت على التقاط كل موجة لاسلكية فى الهواء وتسجيلها ، بحيث يقوم عدد من المتخصصين بعدها بتحليلها ، وتفسيرها ، ومعرفة محتواها أو اتجاهها لو أمكن وهذا العمل يفيد كثيراً فى التقاط الرسائل التى يتبادلها الجواسيس ومحاولة كشف الشفرة المستخدمة فيها وتمتلك (مصر) قسم كبير لأجهزة الاعتراض ، من أحدث الطرز

- ربما هو بث لم يكتمل .

راح (دافيد) قوة البث ، وهو يقول في حدة

- كلا .. انه ليس بثا تقليديا .. انه بث رقمي .. من ذلك الذي تطلقه بعض الاجهزة الحديثة ، ذات الموجات القصيرة للغاية .. والسرعة الدقيقة في البث والاستقبال .

قال (بن عازار) مبهورًا :

- نعم .. انها كذلك بالفعل يا ادون (بلو)

هب (دافيد) من مقعده بحركة حادة ، وهو يقول

- لمن وكيف يحدث بث كهذا ، في منطقة (جبل الخليل) ؟! اننا لا نضع هناك سوى وحدات المراقبة والتفتيش ، وهؤلاء لا يحملون أجهزة حديثة إلى هذا الحد

اراد (بن عازار) ان يجيب بشيء ما ، إلا أن (دافيد) استوقفه بإشارة صارمة من يده ، وهو يعقد حاجبيه في شدة ، ويهمك في تفكير عميق .. قبل أن تتألق عيناه ، وينتفض جسده كله ، وهو يهتف

- يا للشيطان !

سأله (بن عازار) في لهفة :

- ماذا يا أدون (بلو) ؟!

التفت إليه (دافيد) في حركة حادة ، هاتفًا

- إنه هنا .

تراجع (بن عازار) ، مرددا في ارتياع

- هنا ؟!

قفز (دافيد) نحو الهاتف ، وهو يصيح في انفعال شديد :

- إنه هنا .. هنا .

وبكل غضبه وانفعاله ، راح يلقي اوامره الجديدة لكل نقاط التفتيش ..

وبالذات تلك التي تحيط بمنطقة جبل (الخليل) ، والتي تمتد على طول الطريق إلى (تل ابيب)

وكانت هذه الاوامر الجديدة كفيلة بفتح ابواب الجحيم ، في وجه (أدهم صبري) ..

كل أبواب الجحيم ..

* * *

منذ اللحظة الاولى ، التي سطعت فيها الاضواء في وجه (س ١٠٠) ، ادركت على الفور ان تغييرا قد حدث ، في إجراءات أمن الطوارئ ..

فطبقا لاخر ما لديها من تعليمات ، كان الامر يقتصر على تفتيش ومراقبة كل الاماكن بدقة بالغة ، كما لو ان الحكومة الاسرائيلية قد اعلنت حالة الحرب

اما ما تراه أمامها الان ، فهو حاجز اعتراضى

أربع سيارات جيب عسكرية ، وفرقة كاملة من الجنود ، تعترض طريق سيارتها ، وتطلق الاضواء فى وجهها ..

انهم بانتظار شىء ما

او شخص ما

وفى سرعة ، ضغطت فرامل سيارتها ، واوقفتها على مسافة عشرة امتار من الدورية ، وهبطت منها ، قائلة

- انا المقدم (راشيل فريمن) افسحوا الطريق

تقدم نحوها قائد الدورية فى حذر ، حاملا مدفعه الالى ، وخلفه اثنان من جنوده ، فى حالة تحفز كامل ، وهو يقول فى صرامة :

- اوراقك ايتها المقدم ، وسبب وجودك على هذا الطريق .

كان من الواضح ان هؤلاء الرجال لا يجرون

تفتيشا عاديا ، وانما لديهم اوامر باعتراض طريق شخص بعينه

وان ذلك الشخص هو حتما (ادهم صبرى)

وعلى الرغم من ادراكها لهذا ، ظلت (س ١٠٠) محتفظة بثباتها وهدوئها ، وهى تقدم اوراقها لقائد الدورية ، قائلة :

- مهمتى هى متابعة اجراءات الامن والتفتيش ، وانا فى طريقى الى (الرملة) ، لتقديم تقريرى ، ومعى ..

كانت تستدير إلى السيارة ، وهى تنطق عبارتها ، وانتفض شىء ما فى كيانها ، وهى تبتر عبارتها بغتة

- فهناك ، حيث تقبع سيارتها ، لم يكن هناك أحد

كانت السيارة خالية تماما ، إلا من معطفها العسكرى ، الملقى على ظهر المقعد المجاور لها ، وكأنه هناك منذ البداية ..

أما (أدهم صبرى) ، فلم يعد له وجود

لقد اختفى ..

اختفى تماما ..

وعلى الرغم من دهشتها البالغة ، وحيرتها التي بلا حدود ، أكملت عبارتها ، قائلة :

ـ ومعي سيارتي فحسب .

أدار قائد الدورية عينيه الى (الجيب) ، وتطلع في اهتمام إلى ذلك المعطف ، ثم غمغم :

ـ تصورت أن جنديا كان يجلس الى جوارك

ابتسمت ، وهي تهز كتفيها ، وتشير الى السيارة ، قائلة

ـ إنه معطفي كما ترى .

تمتم في شيء من الشك :

ـ بالتأكيد .

ثم اتجه نحو السيارة ، وتبعه الجنديان ، ومال يلقي نظرة داخلها ، في اهتمام كبير ، قبل أن يعتدل ، ويدير عينيه فيما حوله بنظرة فاحصة

وسرتكه (رتشيل) تلك النظرة ، التي ضاعفت من شعورها بالدهشة والحيرة ، فقد كانت السيارة خالية تماما ، في حين لا توجد حولها أية آثار أقدام ، فيما عدا آثار أقدامها هي ..

وفي حذر متحفز ، دار الجنديان حول السيارة ،

وأدارا عيونهما في المنطقة المحيطة بها ، قبل أن يشيرا إلى رئيسهم اشارة خاصة ، جعلته يعيد الأوراق إلى (راشيل) ، قائلا :

ـ شكرا أيتها المقدم اعتذر لايقافك ، ويمكنك مواصلة طريقك .

التقطت أوراقها ، وأعادتها الى جيبها ، وهي تسأله :

ـ قل لي : هل صدرت أوامر جديدة ؟!

أومأ برأسه إيجابا ، وقال :

ـ نعم لقد أبلغونا أن ذلك الرجل قد هبط عند جبل (الخليل) .

لم تستطع إخفاء دهشتها هذه المرة ، وهي تهتف

ـ حقًا ؟!

أجاب في حزم :

ـ إنهم واثقون .

سألته في حذر :

ـ لماذا ؟! هل رصدوا هبوطه ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلا :

ـ لست أدري إنه شعورهم لكن من أعلمه ،

وما يعلمه زملائى ، هو أن حالة الضوء قد ارتفعت
إلى [illegible] ، وإلى ([illegible]) موجب ،
فى [illegible] (الحبيب) ، والطرق التى تمتد منها
[illegible] ، سواء المطروقة أو المهجورة
حاولت أن تبتسم ، وهى تقول :
- من الواضح أنهم يتحركون بسرعة وذكاء
أشار الرجل بيده ، وقال فى ثقة :
- سنتأكد
[illegible] ، وهو يلوح بيده خلفه ، هاتفًا :
- [illegible] وقوع [illegible] المصرى فى قبضتنا ،
[illegible] ([illegible])
[illegible] ، [illegible]
- [illegible] الوغد ، [illegible] ،
[illegible] أو من بعد
ثم انعقد حاجباها ، وهى تتمتم :
- أو أن هذا ما كان مفترضًا .
كانت تشعر بحيرة [illegible] ، وهى [illegible]
[illegible]
[illegible] ، [illegible] ظهرت
[illegible]

بل إن مصابيح السيارات قد سطعت فى وجههم معًا ..
إنها واثقة من هذا !
فأين اختفى إذن ؟!
أين ؟!
أين ؟!
لقد فحص الجنود السيارة ، ولم يكن له فيها أدنى أثر ..
ولا توجد آثار أقدام له حولها ..
وفكرة وضع معطفها العسكرى مكانه كانت عبقرية
ولكنه لم يتبخر حتمًا ..
ولم يتلاش كالأشباح ..
إنه فى مكان ما حتمًا ..
ولكن أين ؟!
أين ؟!
« أوقفى السيارة .. »
انتفض جسدها فى عنف ، عندما سمعت العبارة
بصوت ([illegible]) من مكان ما يقترب منها ، وهى
تنطلق بالسيارة ، فضغطت قدمها الفرامل بحركة [illegible]

قربه ، جعلت السيارة تطلق صريرًا مخيفًا ، وهي تدور حول نفسها في عنف ، و(أدهم) يهتف :
- رويدك يا (س - ١٠٠) .. إنك ستقتلينني هكذا!
تلفتت حولها في توتر بالغ ، صائحة :
- أين أنت ؟!
برز وجهه أمامها بغتة ، وهو يبتسم في سخرية ، قائلاً :
- هنا .
وعلى الرغم منها ، اتسعت عيناها عن آخرهما ، وارتسم الذهول على ملامحها وعلى كل خلية في كيانها كله
هذا لأن ما رأته كان عجيبًا ومذهلاً ..
إلى أقصى حد .

* * *

٤- أبواب الجحيم ..

جلس (ماير جولدمان) ، رئيس العمليات الخاصة في (الموساد) ، خلف مكتبه في صمت ، وهو يتطلع بنظرة صارمة إلى (دافيد) ، وراحت أصابعه تنقر سطح مكتبه بصمت لحظات ، قبل أن يميل إلى الأمام ، متسائلاً :
- وما الذي يجعلك واثقًا إلى هذا الحد ، من أن (أدهم صبري) قد وصل إلى هنا ؟!
أشار (دافيد) بيده ، مجيبًا :
- ذلك البث القصير .. لقد أرسلته إلى قسم التحليل والشفرة ، وهم يؤكدون أنه رسالة لاسلكية رقمية مشفرة ، انطلقت من سفح جبل (الخليل)
سأله (جولدمان) :
- ولماذا يتحتم أن يدل هذا على وجود (أدهم صبري) هنا ؟!
تحرك (دافيد) في الحجرة بعصبية ، قائلاً :

- لا يمكن ان يكون سوى هذا . لقد اخطأنا عندما تصورنا انه سيختار مكانا صالحا للهبوط ، فرجل مثله لا بد ان ينتقى هدفا مثاليا . لا يمكن ان يخطر ببالنا قط . لذا فقد اختار الهبوط على جبل (الحنين)

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وهو يقول

- (دافيد) كلانا رجل مظلات سابق ، وكلانا يعلم ان الهبوط فوق جبل (الحنين) ، فى قلب النيل ، أمر مستحيل تماما .

هتف (دافيد) فى حماس :

- بالضبط ولهذا وقع اختيارهم عليه لانه مكان لن يخطر ببالنا قط .

زمجر (جولدمان) ، مقاطعا :

- ولا حتى ببال ذلك الكمبيوتر العبقرى ؟

قال (دافيد) فى سرعة :

- هذا لانه يطبق قواعد المنطق العام ، وهذا ما دفعه لاستبعاد تلك البقعة كموقع للهبوط

ثم اكتسب صوته رنة صارمة قاسية ، وهو يضيف

- ولكنه لن يرتكب هذا الخطأ ثانية قط

قال (جولدمان) فى سخرية :

- لأنك ستعاقبه ؟!

أجابه فى توتر :

- بل لانه يتميز بذلك الذكاء الصناعى المتطور لقد غذيته بما حدث ، وسيدخله فى برنامجه ، وفى توقعاته المقبلة .

قال (جولدمان) فى حدة :

- خطأ يا (دافيد) خطأ لم يكن ينبغى ان تضع هذا فى برنامج الكمبيوتر ، قبل ان تتيقن منه

أجابه (دافيد) فى حزم :

- ولكننى واثق تماما مما أقول يا ادون (جولدمان)

هب (جولدمان) من مقعده ، قائلا فى غضب .

- قلت لك : إن الهبوط فى تلك البقعة مستحيل

ارتفع صوت (دافيد) بدوره ، وهو يهتف

- وهل نسيت اللقب ، الذى يحمله (ادهم صبرى) هذا ، فى عالم المخابرات إنهم يلقبونه بـ (رجل المستحيل) ؛ لأنه قادر على فعل ما يظنه غيره مستحيلا .

صاح (جولدمان) :

- حتى ولو كان كذلك لا يمكن للمخابرات المصرية أن تضع خطتها ، استنادا إلى هذا .

قال (دافيد) فى حدة :

ـ ولم لا ؟! جهاز المخابرات الناجح هو الذى يبنى خطته ، اعتمادًا على ما لديه بالفعل .

انعقد حاجبا (جولدمان) فى شدة ، وهو يعود إلى مكتبه ، قائلا :

ـ لقد أجريت اتصالاتى بكل مراكز الرادار والمراقبة فى المنطقة ، وإجاباتهم كلها سلبية تمامًا .. لم يتم رصد أية عملية هبوط ، سواء راداريًا أو بصريًا

قال (دافيد) فى حنق :

ـ لقد تفادوا هذا بوسيلة ما .

احتقن وجه (جولدمان) ، وهو يهب من مقعده مرة أخرى ، قائلاً :

ـ (دافيد) .. لقد أصابك هوس شخصى ، يدعى (أدهم صبرى) .. لقد أصبحت تتخيل وجوده فى كل مكان ، وتربط كل حدث بسيط به .

قال (دافيد) فى عصبية :

ـ وماذا عن ذلك البث ؟!

دق (جولدمان) على سطح مكتبه ، قائلا :

ـ يمكن أن نعترف بوجود جاسوس فى تلك المنطقة .



دق (جولدمان) على سطح مكتبه ، قائلاً :

ـ يمكن أن نعترف بوجود جاسوس فى تلك المنطقة

وسنقلب الأرض بحثا عنه ، ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن (أدهم صبرى) قد نجح فى كسر ذلك النطاق الفولاذى ، الذى أحطنا به (إسرائيل) ، وأصبح داخل أرضنا ، دون أن نعلم .

أشار (دافيد) إلى صدره ، قائلا فى حزم

- أنا أعلم .

هتف (جولدمان) ، مشيرًا إليه :

- دون دليل مادى واحد .

تألقت عينا (دافيد) وهو يقول :

- خلال ساعة واحدة ، سيكون الدليل المادى بين يديك يا أدون (جولدمان) .

بهت (جولدمان) للقول ، فسأل فى لهفة

- كيف ؟!

أجابه فى حسم :

- لقد أصدرت أوامرى بتفتيش قمة جبال (الخليل) كل شبر منها وبلدات تلك المنطقة التى صدر منها البث .

ثم عاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وهو يضيف

- وحتى يصل الدليل الحاسم ، على هبوط (أدهم)

فى (إسرائيل) ، فقد فتحت كل أبواب الجحيم فى وجهه ، بحيث لن يجد شبرا واحدًا يصلح للاختباء ، فى (إسرائيل) كلها ..

قالها وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة واثقة ..

ابتسامة شيطان

* * *

ملأ الذهول كل ذرة فى كيان (راشيل) ، وهى تحدق فى (أدهم) ، الذى برز من أسفل السيارة (الجيب) ، ودفع جسده فى مرونة ورشاقة مذهلتين ، ليثب إلى المقعد المجاور لها ، وهو يقول ساخرًا :

- لو أنك تقودين السيارة دائمًا بهذا الأسلوب ، فمن المؤكد أنك تدفعين نصف راتبك كمخالفات مرورية .

حدقت فيه لحظة فى ذهول ، قبل أن تهز رأسها فى قوة ، هاتفة :

- كدت تقتلنى فزعًا .

قال فى سخرية ، وهو ينفض الغبار عن زيه :

- أمن المفترض أن أعتذر ؟!

قالت فى حدة :

ـ ومن ينتظر اعتذارك ؟!

قالتها ، و شحب وجهه فى حنق ، فاعتدل فى مجلسه ، وسألها فى صرامة :

ـ ألديك خريطة للطريق ؟!

غمغمت ، وهى تلتقط الخريطة ، وتلقيها اليه :

ـ بالتأكيد .

فرد الخريطة ، ليفحصها فى اهتمام ، فالتفتت اليه ، تسأله فى عصبية :

ـ كيف فعلت هذا ؟! لقد كنت تجلس الى جوارى ، عندما رأينا تلك الدورية !

هز كتفيه بلا مبالاة ، و جاب وهو يطالع الخريطة :

ـ أسلوبهم وعددهم جعلنى أدرك أنهم يعلمون بوجودى ، وأن كل الاشتباك المباشر غير مرغوب فيه . فى تلك المرحلة ، فقد رأيت أن أكثر الاجراءات حكمة هى أن أختفى ، حتى تمر الأزمة .

قالت فى عصبية :

ـ كل هذا واضح ، ولكن أسألك كيف تسللت الى أسفل السيارة ، دون أن يشعر بك أحد .

أجاب ساخرًا :

ـ هذا شأنى . ومن حسن الحظ أن (الجيب) ترتفع عن الأرض بمسافة كافية .

قالت فى حدة :

ـ ولكنى انطلقت بها بالفعل ، وأنت متعلق بأسفلها ، وكان من الممكن أن أقتلك .

قال ، متابعًا البحث فى الخريطة :

ـ فى عملنا ندرك أن الموت يختفى خلف كل حجر

هتفت :

ـ ولماذا لم تخبرنى ؟!

أدار عينيه إليها ، مجيبًا فى صرامة :

ـ لم يكن هناك وقت لهذا ، ثم إن موقفك لا يمنحك حق المعرفة . كل ما عليك هو تنفيذ دورك بمنتهى الدقة فحسب .

احتقن وجهها ، وهى تقول :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أجاب فى صرامة ، وهو يعاود التطلع الى الخريطة :

ـ إنها قواعد العمل فى عالمنا .

ازداد احتقان وجهها ، ولوحت بسبابتها ، وكأنها

تهم بقول شيء ما ، الا ان الكلمات احتقنت في حلقها ، وزادت وجهها احتقانا ، مما جعلها تدير عينيها ، قائلة بصوت مختنق :

ـ أنت مغرور بالفعل ، كما اخبروني عنك

قال في حزم :

ـ عظيم هذا يعني أن لمعلومات دقيقة دائما

همت بقول شيء اخر ، ولكنه سبقها ، وهو يشير إلى الخريطة ، قائلاً :

ـ مع أسلوب تأمين الطوارئ المعقد هذا ، ستكون الطرق المباشرة هي أكثرها صعوبة ، وبالذات تلك التي تتجه إلى (تل أبيب) مباشرة ، لذا فسنتخذ طرقا فرعية ، وكأننا في طريقنا إلى (قلقيلة) ، ثم ننحرف يسارا ، في منتصف المسافة ، بين (اللد) و (قلقيلة) ، إلى (تل أبيب) .

قالت متوترة :

ـ لن يكون هناك طريق واحد امن اليها

أجاب في هدوء ، لا يخلو من الحزم :

ـ هذا امر طبيعي ، ولكنه لن يمنعني من الذهاب إلى هناك .

قالت في عصبية

ـ سيلقي الاسرائيليون القبض عليك ، قبل أن تتجاوز مداخل المدينة بشبر واحد .

ابتسم في سخرية ، قائلاً :

ـ يمكنهم أن يحاولوا .

احتقن وجهها مرة اخرى ، وهي تهتف :

ـ إنك ..

قاطعها في صرامة :

ـ مغرور ومتغطرس ومكابر ، و و فليكن احتفظي برأيك الشخصي هذا لنفسك ، فلست بحاجة إليه في مهمتنا هذه المهم ان ننطلق على الفور ، طبقًا لخط السير ، الذى أخبرتك به ، فكل متر نكسبه سيوفر علينا الكثير من الجهد والقتال

قالت في حدة :

ـ فليكن سأحتفظ برأيي الشخصية عنك لنفسي ، ولكن ينبغي أن تعلم أن الانطلاق في الطرق غير المأهولة لن يكون سهلا كما تتصور

سألها في سخرية :

ـ لماذا ؟! الا تجيدين القيادة في الطرق الوعرة ، أم أن هذا يفسد زينتك ؟!

قالت فى حنق :

ـ لا هذا ولا ذاك أيها المغرور .. ولكن لا يمكنك أن تضىء مصابيح سيارتك هنا .. وإلا انكشف أمرك ، من مسافة مائة كيلو متر .

ابتسم فى سخرية ، وهو يلوح بمنظاره الخاص بالرؤية الليلية ، قائلا :

ـ لماذا اخترعوا هذه الأشياء إذن ؟!

مطت شفتيها ، قائلة :

ـ إننى أبغض تلك المناظير .

قال فى حزم :

ـ عظيم .. سأقود أنا إذن .

نطقها بلهجة آمرة تحذيرية ، حتى أنها تحركت عن مقعد القيادة فى آلية .. وتركته يسيطر عليه ، ويدير محرك السيارة فى هدوء ، ثم لم تلبث أن انتبهت إلى هذا ، فقالت فى حدة :

ـ ولماذا تقود أنت ؟!

أجابها بضحكة ساخرة قصيرة ، وهو ينطلق بالسيارة .. فغاصت فى مقعدها فى حنق ، وعقدت ساعديها أمام صدرها فى قوة .. وتركته يقود (الجيب)

عبر تلك الطرقات الخلفية الوعرة ، مكتفيا بمنظاره الليلى ، دون مصابيح السيارة ..

ولنصف ساعة كاملة ، لم تنطق بحرف واحد ، ثم لم تلبث أن قالت فجأة فى توتر :

ـ أراهن على أن كونى امرأة قد أدهشك

أجاب فى هدوء :

ـ لقد أدهشتنى فحسب .

قالت فى تحد :

ـ إذن فهم لم يبلغوك أننى امرأة ؟

قال بنفس الهدوء المستفز :

ـ لقد أبلغونى أن العميل (س ١٠٠) سينتظرنى عند سفح الجبل ، فى النقطة (ب ٤) ، وأنه سيتبادل معى العبارات الشفرية المتفق عليها ، وهم يعلمون أنه لا يعنينى كثيرًا ما إذا كان ذلك العميل رجلا أم امرأة .. المهم أنهم يضعون ثقتهم فيه .. وهذا يكفينى

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم

ـ ثم إنها ليست المرة الأولى ، التى أعمل فيها مع امرأة .

قالت فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

ثم لم تلبث ان تراجعت عن لهجتها ، قائلة

ـ اراهن على أنك اصبتها بعقدة نفسية

صمت طويلا هذه المرة ، قبل ان يجيب

ـ انها ليست واحدة ، بل اكثر من واحدة

كررت فى دهشة :

ـ أكثر من واحدة ؟!

ثم انعقد حاجباها ، وهى تضيف فى صرامة :

ـ ولكن هذا لا يمنع انك قد فوجئت بوجودى

رمقها بنظرة جانبية ، وهو يقول :

ـ المهم إنهم لم يخطئوا الاختيار .

أدهشها قوله هذا ، فهتفت :

ـ حقًا ؟!

ابتسم فى خبث ، مجيبًا :

ـ بالتأكيد ، فالاسرائيليون سيشكون فى كل رجل ، ولكنهم لن يشكوا لحظة واحدة ، فى اننى متنكر بهيئة امرأة .

هتفت :

ـ فقط ؟!

ثم انعقد حاجباه فى حنق ، مستطردة .

ـ يا لك من مغرور !

لم تكد تتم عبارتها ، حتى سطع الضوء بغتة ، ليغمر السيارة كلها ..

ولكنه ، فى هذه المرة ، لم يسطع فى مواجهة السيارة ..

أو حتى فى مؤخرتها ..

لقد سطع من أعلى ..

من طائرة هليوكوبتر عسكرية اسرائيلية مقاتلة

* * *

« ما هذا الضوء ؟! »

هتف (قدرى) بالعبارة ، وهو يغلق عينيه فى قوة ، عندما سطع الضوء فى حجرته بغتة ، واعتدل جالسا على فراشه ، وفرك عينيه ، مستطردا فى حنق

ـ ليس من الذوق أن تفعل هذا ، دون استئذان

أتاه صوت (دافيد) ، وهو يقول فى سخرية .

ـ إننا نفتقر إلى الذوق هنا .

انتفض جسد (قدرى) ، وانتبه بغتة الى انه اسير ، فى قلب (إسرائيل) ، فهتف فى توتر

- أنت ؟!
ثم استطرد فى عصبية :
- كم الساعة الآن ؟!
أجابه (دافيد) فى سخرية :
- الواحدة والثلث صباحًا .. ترى هل أزعجتك ؟!
مط (قدرى) شفتيه ، قائلا :
- أعتقد أنه ليس من حقى الإفصاح عن حقيقة مشاعرى هنا .
ثم استطرد فى حنق :
- ولكن هل يمكننى أن أعلن أننى أتضور جوعًا ؟!
أطلق (دافيد) ضحكة قصيرة ، وداعب قائم الفراش ، قائلا :
- بالطبع .. إننا نعلم كم تعشق الطعام يا عزيزى (قدرى) .
قال (قدرى) فى ازدراء :
- أعتقد أن (قدرى) فقط بدون عزيزى ، ستكون أفضل
تجاهل (دافيد) تعليقه ، وهو يكمل
- لذا فقد قررت أن أتبع سياسة خاصة معك ، مادمت قد تعافيت من جرحك .

سأله (قدرى) ، فى شىء من السخرية
- هل ستنقلوننى إلى زنزانة منفردة عربية ؟!
هز (دافيد) رأسه نفيًا ، وهو يقول
- ليست لدينا أية زنازين هنا للأسف ، مما يجعلنا مضطرين لتركك فى هذه الحجرة الأنيقة ، ولكن
تمتم (قدرى) متبرمًا :
- كم أخشى كلمة (لكن) هذه .
ابتسم (دافيد) فى سخرية ، قائلاً :
- من الطبيعى أن تخشاها يا رجل ، فما بعدها يجب عادة ما قبلها .
ثم مال نحوه ، مضيفًا بلهجة ذات صرامة حاسمة .
- وخاصة فى حالتنا هذه .
تطلع إليه (قدرى) بضع لحظات ، فى توتر قلق ، قبل أن يميل ليجلس على طرف فراشه ، متسائلا
- ما الذى تريد قوله بالضبط يا رجل ؟!
اعتدل (دافيد) ، قائلاً :
- أردت أن أخبرك أنه إذا ما أردت أن تحصل على ما يكفيك من طعام هنا ، فعليك أن تدفع الثمن
ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، وهو يتساءل

- الثمن ؟!
أجابه (دافيد) فى صرامة :
- نعم .. الثمن أيها المصرى .
وعاد يميل نحوه ، ويفرقع سبابته وابهامه ، مضيفا :
- المعلومات .
انعقد حاجبا (قدرى) فى شدة ، وهو يكرر :
- المعلومات ؟!
أجابه (دافيد) :
- نعم يا سيد (قدرى) .. المعلومات .. كل ما لديك من معلومات ، عن جهاز المخابرات المصرى ، والعاملين فيه ، وتدرج وظائفهم ، ونظم العمل المتبعة داخله . والخامات التى تحصل عليها لتقيم بعملك المتقن ، والأوراق الرسمية الإسرائيلية ، التى صنعتم نسخا متقنة منها .. كل المعلومات المتاحة .. وبقدر ما تمنحنا من معلومات ، سنمنحك من طعام
ازداد انعقاد حاجبى (قدرى) ، وهو يقول :
- أنتم تعلمون كم أحب الطعام .
اعتدل (دافيد) ، قائلاً فى زهو :

- نعلم جيدًا يا سيد (قدرى) .
ابتسم (قدرى) فى سخرية متحدية ، وهو يقول :
- ولكنكم لا تعلمون كم أحب (مصر) .
احتقن وجه (دافيد) ، وهو يقول فى عصبية :
- إلى الحد الذى تكتفى فيه بوجبة ضئيلة للغاية يوميًا ؟!
لوح (قدرى) بيده ، مجيبًا :
- بل إلى حد الموت جوعًا من أجلها .
ثم عاد إلى فراشه ، وجذب الغطاء فوق جسده الضخم ، مستطردًا :
- لا تنس إطفاء الأضواء ، عندما تنصرف من هنا .
احتقن وجه (دافيد) أكثر وأكثر ، وهو يقول :
- من السهل أن تبدو شجاعًا ، ومعدتك ممتلئة بالطعام يا رجل ، ولكن سنرى ما سيصير إليه حالك ، عندما يقرصك الجوع .
لوح (قدرى) بيده فى لا مبالاة ، دون أن يعلق على العبارة ، فعض (دافيد) شفتيه حنقًا ، وقال فى عصبية :

- ولكنى لم آت إليك فى الواحدة والثلث صباحًا ، على أية حال . لأبلغك فقط بهذا الأمر
قال (قدرى) ساخرًا :
- هل ستحرمونني من الشراب أيضًا ؟!
أجابه (دافيد) فى صرامة عصبية :
- صديقك هنا .
خُيّل إليه أن (قدرى) قد قفز من الفراش ، على الرغم من بدانته المفرطة ، وهبط واقفا على قدميه إلى جواره ، وهو يهتف :
- (أدهم) ؟!
أومأ (دافيد) برأسه إيجابًا فى شماتة ، فسأله (قدرى) :
- ولكنكم لم تظفروا به بعد .. أليس كذلك ؟
هزّ (دافيد) كتفيه ، قائلاً :
- إنها مسألة وقت فحسب .
تراجع (قدرى) ، مرددًا :
- مسألة وقت ؟!
ثم انفجر ضاحكًا ، فى سخرية ظافرة ، وهو يهتف :
- إذن فأنتم لم تظفروا به بعد .. كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

قال (دافيد) فى حدة :
- قلت لك : إنها مسألة وقت فحسب .. رجلكم (أدهم) هذا أصبح داخل أرضنا ، وسيسقط فى قبضتنا ، إن عاجلاً أو آجلاً .
لوّح (قدرى) بسبابته أمام وجهه ، قائلا فى سخرية :
- المهم أن هذا لم يحدث بعد .
ازداد صوت (دافيد) عصبية وحدة ، وهو يقول :
- دوريات المراقبة تملأ الطرقات ، و(تل أبيب) محاصرة كما لم يحدث من قبل ، حتى فى فترات الحروب بيننا وبينكم ، وطائرات الهليوكوبتر المقاتلة تحلّق فى كل مكان ، ولن يمضى وقت قصير حتى
قاطعه (قدرى) فى سخرية ، وهو يعود إلى فراشه :
- حتى تدركوا أى حمقى أنتم .
احتقن وجه (دافيد) مرة أخرى ، وهم بقول شيء ما ، لولا أن انطلق أزيز جهاز اللاسلكى الخاص به فجأة ، فاختطفه من جيبه ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً فى عصبية :

- ماذا هناك ؟!
أتاه صوت غير مألوف ، يتساءل :
- هل أتحدث إلى أدون (دافيد بلو) ؟!
أجابه في توتر :
- أنا هو .. من أنت ؟!
أجابه صاحب الصوت :
- أنا (سيفي بن رايون) أحد طياري الهليوكوبتر ، في دوريات الطوارئ الليلية .. لقد قدمت تقريرًا عاجلاً ، فطلبوا مني الاتصال بك مباشرة .
سأله (دافيد) في اهتمام :
- ماذا لديك ؟!
أجابه الطيار ، وصوته يمتزج بهدير مروحة الهليوكوبتر :
- لقد رصدت سيارة (جيب) عسكرية ، تنطلق عبر أحد الطرق الجانبية غير الممهدة ، مطفأة الأنوار .. فهل لديكم أية تحركات رسمية ، في المنطقة (واو ٦٠٧) ؟!
انعقد حاجبا (دافيد) في شدة ، وهو يغمغم :
- طريق غير ممهد ، وأنوار مطفأة ؟!

ثم تألقت عيناه في شدة ، وهو يهتف :
- يا للشيطان ! إنه هو !
امتقع وجه (قدري) ، وهو يحدق فيه مذعورًا ، في حين هتف هو ، عبر جهاز الاتصال :
- كلا يا رجل .. ليست لدينا أية تحركات رسمية ، في تلك المنطقة .
سأله الطيار في اهتمام :
- ما الذي علي أن أفعله أيها الأدون (بلو) ؟!
صاح به (دافيد) ، بكل لهفة وانفعال الكون :
- ما الذي تفعله ؟! انسفها يا رجل .. انسف تلك السيارة ، بكل ما فيها ، ومن فيها .. انسفها دون إنذار أو تحذير .
أجابه الطيار في حماس :
- سمعًا وطاعة يا سيدي .
وتألقت عينا (دافيد) في ظفر ، في حين امتقع وجه (قدري) أكثر وأكثر ، وجهاز الاتصال اللاسلكي ينقل دوي رصاصات الهليوكوبتر ..
ثم دوي انفجار ..
انفجار عنيف ..

* * *

٥ـ تنبـؤات ..

« يا إلهى ! لقد انكشف أمرنا !! »

هتفت (راشيل) بعبارة ، عندما غمر ضوء الهليوكوبتر سيارتهما (الجيب) ، واستطردت ، وهى ترفع مدفعها الآلى :

ـ لقد أطلقوا الدوريات الطائرة .. كان ينبغى أن أتوقع هذا .

أمسك (أدهم) يدها ، قائلا فى صرامة ، وهو يزيد من سرعة السيارة :

ـ رويدك .. لن نشتبك معهم الآن .

هتفت به :

ـ لقد كشفوا أمرنا ، ونحن ننطلق عبر طريق جانبى غير ممهد ، وبمصابيح مطفأة ، وسيطلقون النار علينا حتمًا ، طبقًا لأوامر القيادة ، فى ظروف هذه الطوارئ القصوى .. إنها مسألة وقت فحسب

أجاب بصرامة أكثر :

ـ أعلم هذا ، ولكن مدفعك الآلى لن يحسم الأمر

صاحت محنقة ، وهى تجذب إبرة مدفعها

ـ وما الذى سيحسمه إذن ؟! غرورك ؟!

انحرف بالسيارة بغتة ، وهو يجيب :

ـ بل عقلى .

فقدت توازنها ، مع الانحرافة المباغتة ، فهتفت به

ـ احترس .. كدت أن تقتلنى هذه المرة

أجابها فى صرامة :

ـ استعدى للموت إذن ، فكل ما أفعله هو مراوغة مصباح الهليوكوبتر الضخم ، لأمنحك فرصة القفز من السيارة ، قبل المواجهة المباشرة

صاحت معترضة :

ـ القفز ؟! ومن قال إننى أرغب فى مغادرة السيارة ؟ سأقاتل حتى آخر قطرة دم ؟!

انحرف بالسيارة مرة أخرى إلى اليمين ، وهو يدفعها فى قوة ، قائلا :

ـ إنه ليس مطلبًا .. هذا أمر .

اختل توازنها فى شدة ، مع الانحراف المباغت للسيارة ، وحاولت أن تتشبث بأى شىء ، ولكن



ولكن دفعته القوية ألقتها خارج السيارة، على الرغم منها..
فارتطم جسدها بالأرض في عنف..

دفعته القوية ألقتها خارج السيارة، على الرغم منها فارتطم جسدها بالأرض في عنف. وتدحرجت فوق الأحجار الصغيرة لمترين أو ثلاثة. في حين انحرف هو مرة أخرى إلى اليسار في سرعة، وهي تهتف ساخطة:

- أيها الوغد!

ضاعت صيحتها مع هدير مروحة الهليكوبتر، التي انحرفت خلف (الجيب) دون أن تنتبه إلى وجودها، وسقوطها من السيارة، فنهضت مندفعة، مستطردة في سخط:

- من قال إنني أحتاج إلى أي رجل لإنقاذي؟!

كانت تدرك أنه ما فعل هذا إلا ليبعدها عن المواجهة، وليتحمل الأمر كله وحده، إلا أن هذا لم يمنع شعورها بالسخط والحنق، مع الآلام التي تصاعدت من الكدمات العديدة، التي صنعها سقوطها فوق مئات الأحجار الصغيرة، وراحت تتابع المطاردة في قلق، وهي تتمتم:

- إنك تستفزهم كثيرًا.. سيطلقون النار عليك حتمًا.

لم تكن عبارتها قد اكتملت بعد، عندما انقضت

الهليكوبتر على (الجيب) ، وراحت تمطره
برصاصاتها بلا هوادة ..

وخفق قلبها في عنف ، عندما دوى الانفجار

انفجرت (الجيب) في قوة ، وتناثرت شظاياها
على مساحة واسعة ، على نحو جعلها تهتف من
أعماقها ، وعيناها تترقرقان دمعًا :

- ما الذي فعلته بنفسك أيها الفتى ؟! ما الذي فعلته
بنفسك ؟!

جلست بين الصخور ، وهي تمسك مدفعها بيمناها ،
وتسند كعبه إلى الأرض ، وثنت قدمها اليسرى ،
لتسند مرفقها إلى ركبتها ، وتجذب شعرها الأشقر في
مرارة ، متابعة :

- لماذا ؟!

كانت تشعر برغبة عارمة في البكاء ، ولكنها
قاومتها بشدة ، وهي تنهض من جلستها ، وتتطلع
من مكمنها إلى الهليكوبتر ، التي راحت تدور حول بقايا
السيارة ، وكأنما يصر قائدها على التيقن من النتائج ،
قبل أن يغادر المنطقة ..

ولكن هذا هو الواقع فعليًا ، ففي نفس اللحظة ،

التي نهضت هي فيها ، كان طيار الهليكوبتر يقول
لـ (دافيد) ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكي

- تمت إصابة الهدف بنجاح .

تألقت عينا (دافيد) في شدة ، وهتف بصوت
مرتجف ، من فرط الانفعال

- حقًا ؟!

ثم التفت إلى (قدري) ، قائلاً في سعادة عصبية .

- لقد ظفرنا به .

ارتجفت شفتا (قدري) ، وهو يتمتم

- مستحيل !

ابتسم (دافيد) في سخرية ، وهو يسأل الطيار ،
عبر جهاز الاتصال :

- قل لي يا رجل .. هل نجا قائد السيارة ؟!

أجابه الطيار في حذر :

- لا أظن أن أي شخص يمكن أن ينجو ، من
انفجار كهذا .

بلغت العبارة مسامع (قدري) ، فقال في توتر

- هذا لو أن (أدهم) كان داخل السيارة ، عندما
حدث الانفجار .

ثم اعتدل في مجلسه ، متابعًا :

ـ انكم لم تزودوا بنفسكم .. لقد استنتجتم انه يقود تلك السيارة فحسب ، واطلقتم عليها النار ، ونسفتموها ، ولكن من يؤكد أنكم قد ظفرتم به بالفعل ؟! وحتى لو كان يقود تلك السيارة ، فكيف تتأكدون من انه لم يقفز منها ، قبل الانفجار ؟!

انعقد حاجبا (دافيد) ، عند سماعه ذلك الاحتمال الأخير ، وسأل الطيّار في توتر :

ـ هل قفز أي شخص من تلك السيارة ، قبل أن تنسفها ؟!

تردّد الطيّار لحظة ، ثم أجاب :

ـ لا يمكنني الجزم يا أدون (بلو) ، فالسيارة كانت تنطلق في طريق غير ممهد ، مثيرة خلفها عاصفة من الغبار ، يمكن أن تخفي فيلا كبيرا

احتقن وجه (دافيد) ، على نحو جعل (قدري) يبتسم في ظفر ، قائلا :

ـ أرأيت ؟!

هتف (دافيد) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ افحص المكان بنفسك يا رجل .. أو افحص بقايا

السيارة ، لتتأكد من وجود جثة محترقة داخلها .. أريد تأكيدا حاسما ، خلال خمس دقائق فحسب .. هل تفهم ؟!

أجابه الطيّار :

ـ أفهم يا أدون (بلو) .. أفهم .

قالها ، وانخفض بالهليوكوبتر قليلا ، ليفحص بقايا السيارة في حرص ، و ...

وفجأة ، برز (أدهم) من بين الصخور ، واندفع نحو الهليوكوبتر ، وكأنما يعدو بألف قدم ، ثم وثب كالنمر ، و ...

وشهق الطيّار في ذهول ، عندما وجد (أدهم) داخل الهليوكوبتر ، يجذب عصا القيادة من يده ، وهو يقول في سخرية :

ـ معذرة أيها الوغد .. انتهت رحلتك هنا

تحرك الطيّار في سرعة ، محاولا الدفاع عن نفسه ، إلا أن قبضة (أدهم) انطلقت في فكه كالقنبلة ، فدارت عيناه في محجريهما ، وشعر بمخه يرتطم بجدار جمجمته من الداخل ، قبل أن يسقط رأسه على صدره ، وقد فقد وعيه تمامًا ..

وبمهارة مدهشة ، سيطر (أدهم) على عصا قيادة الهليوكوبتر ، وهبط بها فى هدوء ، مغمغما :

- أتعشم أن يكشف لك هذا أن الغرور مفيد أحيانا يا (س ١٠٠) .

لم يدرك لحظتها أن (راشيل) كانت مبهورة بما فعله حتى النخاع ..

لقد راقبت الهليوكوبتر تهبط إلى ارتفاع قريب من سطح الأرض ، ثم شاهدت (أدهم) يبرز من بين الصخور ، فهتفت فى سعادة :

- ربّاه ! إنه حى !!

ثم اتسعت عيناها فى ذهول ..

فبينما تنطق عبارتها المحدودة ، كان هو قد اندفع نحو الهليوكوبتر ، ووثب داخلها ، وسيطر على الموقف تماما ..

وبكل ذهولها ، هزت رأسها فى قوة ، هاتفة :

- مستحيل !

ثم انطلقت تعدو نحو الهليوكوبتر ، التى استقر بها (أدهم) أرضا ، وعندما بلغتها ، كان هو يقف خارجها ، ويحل حزام مقعد الطيار ، ليخرجه من الهليوكوبتر ،

فتوقفت لاهثة ، وسألته فى صرامة ، محاولة بها إخفاء انبهارها بما فعله :

- والآن ماذا ؟!

تجاهل سؤالها ، وهو يقول بابتسامة ساخرة :

- هل آلمك السقوط ؟!

أجابته فى حنق :

- بشدة .. لقد امتلأ جسدى بالسحجات والكدمات ، من كل حجم ولون .

رفع حاجبيه ، قائلاً :

- عظيم .. هذا يعنى أن كل شىء يسير على ما يرام .

هتفت فى غضب :

- هل أسعدك ما أصابنى ؟!

أرقد الطيّار أرضا ، على مسافة عدة أمتار من الهليوكوبتر ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .. فإصاباتك الطبيعية هذه ستدعم قصتك .

قالت فى دهشة :

- قصتى ؟!

أجابها فى حزم :

- سأطلع .. لقد نسف الإسرائيليون سيارتك .. وهذا يعنى أنك ستعودين بدونها .. وسيكون عليك إيجاد المبرر المنطقى لهذا .. وأفضل مبرر يمكن لهم تصديقه ، هو أننى قد هاجمتك .. واستوليت على سيارتك بالقوة ، فى الطريق الممهد .. وهذا يعنى أن أعيدك إلى نفس النقطة .. التى انحرفنا منها إلى الطريق الجانبى ، قبل أن انطلق إلى الهدف

سألته مبهورة :

- أى هدف ؟!

أدار مروحة الهليوكوبتر .. وهو يجيب فى حزم

- (تل أبيب) .

ارتفع حاجباها فى دهشة عارمة ، قبل أن تهتف

- هل جننت ؟!

أومأ برأسه إيجابا .. وهو يقول فى برود

- بالتأكيد .. منذ أكثر من ثلاثين عاما .. ولكن هذا لن يعنى الكثير ، بالنسبة لمهمتك هذه

ثم أشار بيده ، مستطردا :

- هيا .. اصعدى إلى الهليوكوبتر .

احتقن وجهها فى عصبية .. وهى تصعد إلى الهليوكوبتر ، قائلة فى عصبية

- لو تجاوزت هذه الهليوكوبتر خط سيرها ، سيطلقون صواريخهم خلفها حتما .. أما لو حاولت عبور حدود (تل أبيب) ، فسيسحقونها سحقا

قال فى سخرية .. وهو يرفع الهليوكوبتر

- يا إلهى ! إننى أرتجف هلعا .

احتقن وجهها أكثر .. وهى تغمغم فى سخط

- يا للغرور !

ارتفع صوت (دافيد) ، فى تلك اللحظة ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى .. وهو يسأل فى توتر .

- ماذا حدث أيها الطيار ؟! هل عثرت على أية جثث محترقة ، داخل تلك (الجيب) ؟!

أجابه (الأدهم) بصوت يغاير صوته الحقيقى تماما

- نعم يا سيدى .. كانت هناك جثة واحدة محترقة ، و ...

قاطعه (دافيد) فجأة فى عصبية :

- من أنت ؟!

سرى التوتر فى كل ذرة من كيان (راشيل) ، فى حين أجاب (الأدهم) فى هدوء .. وهو ينطلق بالهليوكوبتر :

- أنا طيار الهليوكوبتر يا سيدى .

صاح به (دافيد) :

- كلا ... لست هو ... هذا ليس صوت الطير ، الذى كنت أتحدث معه ، منذ خمس دقائق فحسب

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- بل أنا هو يا سيدى ... إنه الشوشرة الناشئة عن حركة مروحة الهليوكوبتر ، مع الطيران فى عكس اتجاه الريح .

صاح به (دافيد) :

- كاذب ... ما اسمك إذن ، لو أنك هو ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يتطلع إلى بطاقة الطيار ، التى حصل عليها من جيبه ، مجيبًا :

- (ليفى) يا سيدى (ليفى بن زابون) ... لقد أخبرتك من قبل .

صمت (دافيد) بضع لحظات ، وكأنه لم يكن يتوقع الجواب ، ثم لم يلبث أن سأل فى عصبية

- ما اسمى أنا إذن ؟!

كان سؤالا ذكيا بالفعل ، جعل (راشيل) تمط شفتيها ، متمتمة فى خفوت شديد :

- يا للوغد !

أما (أدهم) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يجيب فى سخرية ، مستعيدًا صوته الحقيقى

- ما رأيك فى اسم (ملك الأوغاد) ؟!

صاح (دافيد) فى ارتياع :

- يا للشيطان !

وانهى المحادثة فى حدة ، على نحو جعل (قدرى) يطلق ضحكة عالية ساخرة ، ويهتف

- كنت أعلم أن هذا ما سيحدث ... كنت أعلم هذا

ثم مال نحو (دافيد) فى سخرية شامتة ، مستطردًا

- قل لى أيها الإسرائيلى ... هل يؤلمك قفاك الآن ؟

احتقن وجه (دافيد) فى شدة ، وهو يقول بصوت مختنق :

- اللعبة لم تنته بعد .

ثم اندفع نحو الباب ، تطارده ضحكات (قدرى) العالية الساخرة ، التى جعلته يتوقف لحظة ، ويلتفت إليه ، قائلاً فى غضب هادر :

- تذكر أيها المصرى ... لا طعام بلا معلومات ... لا طعام على الإطلاق .

وصفق الشاب كفه في قوة، وهو يصرخ:

- نبه الحارس ... [illegible] إغلاق هذا الباب جيدًا

ودون أن ينتظر قدوم الحارس، انطلق يعدو عبر الممر، واستقل المصعد في عصبية، ليصعد إلى حيث حجرة (جولدمان)، الذي فوجئ به يقتحم المكان، فصاح غاضبًا:

- ما هذا يا (دافيد) ؟! كيف [illegible] أن تطرق الباب أولًا .. لقد كنت [illegible] ... [illegible] للانصراف، و...

قاطعه (دافيد) في توتر بالغ:

- [illegible] صبري [illegible] [illegible] لقد تحدثت إليه بنفسي.

سقط القلم من يد (جولدمان)، وهو يقول في ذهول:

- تحدثت إليه ؟!

[illegible] (دافيد) [illegible] الاتصال اللاسلكي [illegible]

- نعم .. عبر جهاز اللاسلكي .. لقد [illegible] على إحدى طائرات الهليوكوبتر الحربية، [illegible] على مسافة عشرة كيلومترات من [illegible]، وهو ينطلق بها، في طريقه إلى هنا حتمًا.

اتسعت عينا (جولدمان) عن آخرهما، وهو يهتف:

- يا للشيطان ! يا للشيطان !

ثم اختطف سماعة هاتفه الخاص، وهو يسأل في عصبية:

- هل تعرف رقم الهليوكوبتر، أو آخر موقع لها ؟

أجابه (دافيد) في توتر:

- هم سيعرفون [illegible] عندما يعلمون أنها كانت تحلق في المنطقة ([illegible] ٢٠٧)، وفقدها [illegible] (زابون).

أومأ (جولدمان) برأسه، وهو يقول عبر الهاتف:

- [illegible] هنا (مستر جولدمان) [illegible] أوصلني بقائد القوات الجوية، [illegible] فورًا

مضت لحظة من الصمت [illegible] قبل [illegible] يهتف:

- مساء الخير يا جنرال [illegible] لدينا موقف حساس للغاية هنا.

ثم شرح له الأمر في سرعة، واستطرد:

- نعم يا جنرال [illegible] لا بد من إيقافه حتمًا، قبل أن يبلغ (تل أبيب) [illegible] كلا يا جنرال [illegible] لن نحتاج إلى

موافقة قائد القوات الجوية .. في ظل هذه الظروف ..
إنها طوارئ قصوى .

كان من الواضح ان مساعد قائد القوات الجوية يجادله في امر ما ، اذ هتف في غضب

- لا يا جنرال .. لا يمكن تأجيل الامر لحظة واحدة .. أريد طائرتي (إف - ٢٠) خلف تلك الهليوكوبتر على الفور .

وصمت لحظة اخرى ، ثم صاح في حدة .

- فليكن .. ارسل سربا من طائرات الهليوكوبتر اذن .. المهم ان تفعل شيئا .. اي شيء .. ذلك الشيطان يحتاج الى نصف الساعة فحسب ، حتى يصل الى (تل ابيب) . ولست احب ان يبلغها ، ولم ننته من مناقشة أمره بعد .

قالها ، واغلق الهاتف في عنف ، فصاح به (دافيد) :

- لا .. لا تنه المحادثة هكذا .

التقط (جولدمان) سماعة الهاتف مرة اخرى ، قائلا في حدة :

- لقد انهيت المحادثة فحسب ، ولم انه الموقف

وطلب رقما اخر ، وهو يستطرد في حزم :

- كل ما في الامر ، هو انني سأتخذ اجراء اكثر فاعلية .

فرك (دافيد) كفيه في عصبية ، والقى نظرة على ساعته ، ثم اندفع نحو الهاتف الاحمر ، في نفس الوقت الذي كان (جولدمان) يقول فيه ، عبر الهاتف الأول :

- هنا (مائير جولدمان) ، رئيس إدارة العمليات الخاصة في (الموساد) .. أريد التحدث إلى الجنرال (موشي) شخصيا .. نعم .. اعرف كم الساعة الان ، ولكن الأمر عاجل وخطير للغاية .

لم يسمع (دافيد) باقي المحادثة ، وهو يقول لمحدثه :

- هنا (دافيد بلو) ، من (الموساد) .. أريد الحصول على بعض المعلومات ، الخاصة بقراءات الرادار ، في المنطقة (واو ١٠٧) ، مع متابعة لكل التغيرات ، خلال نصف الساعة القادمة

انهمك كل منهما في محادثته ، حتى أعاد (جولدمان) سماعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يلتفت إلى (دافيد) ، هاتفا :



ثم اندفع نحو الخريطة الكبيرة ، على جدار مكتبه ، وراح يراجعها فى اهتمام ..

- القائد وافق ، وسينطلق سرب من الهليوكوبتر المقاتلة ، ذات المحركات النفاثة خلفه .

التفت اليه (دافيد) بوجه شاحب ، وهو يقول :

- أين ؟!

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وهو يسأله :

- ماذا تعنى بكلمة أين هذه ؟!

لوح (دافيد) بسماعة الهاتف ، قائلا فى عصبية :

- الرادارات كلها لم ترصده بعد ، وكأنه لا وجود له !

هتف (جولدمان) :

- لم ترصده ؟! ما الذى يعنيه هذا ؟!

ثم اندفع نحو الخريطة الكبيرة ، على جدار مكتبه وراح يراجعها فى اهتمام ، قبل أن يشير اليها بسبابته ، قائلا :

- لو أنه ينطلق هنا ، فسيطير منخفضا بين التلال هنا ، بحول بينه وبين أجهزة الرادار ، ولكن لو أنه ينطلق نحو (تل أبيب) بعد ، فستبدءون فى رصده هنا ، عند النقطة (جيم ٢١٠) .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يضيف

- وسرب الهليوكوبتر سينطلق خلفه . خلال سبع دقائق فحسب أى قبل أن يبلغ (تل أبيب) بربع ساعة كاملة .

غمغم (دافيد) فى عصبية متوترة :

- هذا لو عثروا عليه .

انعقد حاجبا (جولدمان) بشدة أكثر . وهو يقول

- سيفعلون أنت تدرك مهارة طيارينا

زفر (دافيد) فى عصبية ، قائلا :

- ليس مع رجل مثله .

صاح به (جولدمان) فى حدة :

- هل سيعاودك ذلك الهوس ثانية ؟!

أجابه (دافيد) فى حدة :

- ليس هوساً يا أدون (جولدمان) إنها الحقائق ، التى يحويها ملف (أدهم صبرى) لدينا إنه طيار مقاتل ، على أرفع مستوى ، ويمكنه وحده مواجهة ثلاث مقاتلات فى آن واحد ، والتفوق عليها حسماً ، دون أن تصاب مقاتلته بخدش واحد

قال (جولدمان) فى صرامة :

- ربما ثلاث طائرات ، ولكن ليس سرباً كاملاً

ثم مال نحوه ، مستطرداً فى حزم :

- سيظفرون به يا رجل .. ثق بهذا .

بدا الشك على وجه (دافيد) ، فمط (جولدمان) شفتيه ، وأشار إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلا .

- لماذا لا تستشر العبقرى الإليكترونى الجديد ؟!

سأله (دافيد) فى لهفة :

- هل تعتقد أنه يمكننى الاتصال به من هنا ؟

أجابه (جولدمان) فى زهو :

- من مكتبى ، يمكنك الاتصال بأى جهاز كمبيوتر ، فى (إسرائيل) كلها .

هتف (دافيد) فى حماس ، وهو يضغط زر تشغيل الكمبيوتر :

- عظيم .

جرت أصابعه فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر ، وراح يطرح ذلك الموقف المركب على الكمبيوتر الجديد ، من خلال شبكة الاتصالات الداخلية ، ثم جلس ينتظر الجواب فى توتر بالغ

ومن خلال ذكائه الصناعى الفائق ، راجع الكمبيوتر الموقف ، مع كل ما لديه من معطيات سابقة ، وخبرات مكتسبة ، قبل أن تحمل شاشته الجواب .

وانعقد حاجبا (دافيد) فى شدة ، وهو يغمغم
ـ بالتأكيد .. هذا ما سيفعله ، لو أننى فى موضعه
سأله (جولدمان) فى اهتمام :
ـ بمَ أبلغك الكمبيوتر ؟!
أشار (دافيد) بيده ، قائلاً :
ـ (أدهم) لن يتجه نحو (تل أبيب) مباشرة
سأله فى اهتمام :
ـ ماذا سيفعل إذن ؟!
تنهَّد (دافيد) ، وهو يجيب :
ـ إنه يستقل هليوكوبتر مقاتلة قوية ، ذات سرعة فائقة ، وقدرة شديدة المرونة على المناورة ، ثم إنه يدرك جيدًا أننا نعلم بأمره ، وبأنه قد استولى على الهليوكوبتر بالفعل ، وخبرته تجعله يعلم أننا سنطلق خلفه بعض المقاتلات حتمًا ، لمنعه من بلوغ (تل أبيب) بأى ثمن ، لذا فسينطلق أفقيًا ، على ارتفاع منخفض ، عبر (وادى الصرار) ، حتى يعبر جنوب مدينة (يافا) ، وعندئذ تكون لديه فرصة الانطلاق فوق البحر المتوسط ، على ارتفاع منخفض للغاية ، ثم الدوران إلى الشمال ، فالشرق ، ودخول (تل أبيب) من ناحية البحر .

سأله (جولدمان) مبهورًا ، وقد بدا له ذلك المسار منطقيًا للغاية
ـ وماذا عن الرادارات البحرية ؟!
أجابه مشيرًا إلى شاشة الكمبيوتر :
ـ (أدهم) يفعل دائمًا ما لا نتوقعه ، وهذا ما استنتجه الكمبيوتر ، لذا فهو يتوقع أن يهاجم (أدهم) الرادار البحرى الرئيسى ، ليؤمن عبوره إلى (تل أبيب) .
قال (جولدمان) فى دهشة :
ـ ولكن هجوم كهذا أشبه بإعلان حرب
زفر (دافيد) ، قائلاً :
ـ هذا لو أمكن إثبات أنه رجل مخابرات مصرى
ابتسم (جولدمان) فى عصبية ، قائلاً
ـ أعتقد أن هذا لا ينطبق على (أدهم صبرى) بالذات ، فالعالم كله يعلم أنه رجل مخابرات مصرى
أشار (دافيد) بيده ، وهو يقول فى حزم
ـ دون دليل مادى واحد .
انعقد حاجبا (جولدمان) ، وكأنه ينتبه إلى هذه الحقيقة لأول مرة ، وتمتم :
ـ أنت على حق .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الثاني ، فاختطف (دافيد) سماعته في سرعة ، قائلا :

ـ (دافيد بلو) .

وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يستمع إلى محدثه في توتر بالغ ، قبل أن يقول :

ـ أأنت واثق يا رجل ؟!

سأله (جولدمان) في لهفة :

ـ أهو مركز مراقبة الرادار .

أومأ (دافيد) برأسه إيجابا ، وهو يعيد السماعة إلى موضعها ، مجيبًا في عصبية :

ـ إنه هو .

ثم أشار بيده ، مضيفا :

ـ الرادارات رصدت الهليوكوبتر بالفعل

سأله (جولدمان) :

ـ في طريقها إلى (يافا) .

هز (دافيد) رأسه نفيا في عصبية ، وهو يقول :

ـ كلا .. لقد ارتفعت لدقيقتين ، ثم عادت إلى ارتفاعها المنخفض ، للهروب من الرادار ، ولكنها كانت تنطلق في اتجاه (تل أبيب) مباشرة .

تراجع (جولدمان) كالمصعوق ، وهو يهتف

ـ ماذا ؟!

ثم اندفع نحو هاتفه الخاص ، مستطردا في سخط :

ـ أعتقد أن أفضل ما نفعله هو تحطيم ذلك الكمبيوتر .

وبكلمات موجزة سريعة ، نقل إلى قائد القوات الجوية تقرير مركز مراقبة الرادارات ، ثم أنهى المحادثة ، وهو يلتفت إلى (دافيد) ، قائلا :

ـ السرب سينطلق للتصدي له مباشرة

هزّ (دافيد) رأسه ، وهو يتطلع إلى شاشة الكمبيوتر ، مغمغمًا :

ـ ولكن كيف يفعل هذا ؟! انطلاقه نحو (تل أبيب) مباشرة هو نوع من الانتحار .

أشار (جولدمان) بيده ، قائلاً .

ـ ولكنه أمر لم نتوقعه قط ، وهذا ينسبه تماما

ثم مط شفتيه ، مستطردا في سخرية ، وهو يتطلع إلى شاشة الكمبيوتر :

ـ وكان ينبغي للعبقري الإليكتروني أن يستنتج هذا

هزّ (دافيد) رأسه في بطء ، قائلا

ـ ذلك الرجل عجيب للغاية !! إنه يتصرف على نحو يخالف العقل والمنطق ، والطبيعة البشرية العادية ، وهذا ما يربك الكمبيوتر .

أجابه (جولدمان) فى سخرية :

ـ خطأ .. ما أراه هو أن (أدهم صبرى) يفعل دائمًا ما لا نتوقعه قط ، ولو أن العبقرى الآلى أدرك هذا ، لأتت توقعاته أقرب إلى الصواب دائمًا .

هزّ (دافيد) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة .

لوّح (جولدمان) بيده ، قائلاً :

ـ اجعله بهذه البساطة إذن .

مطّ (دافيد) شفتيه ، دون أن يجيب ، وبدأ فى إدخال تلك المعطيات الجديدة إلى برنامج الكمبيوتر ، و ..

وفجأة ، ارتفع رنين هاتف (جولدمان) الخاص ، فاختطف سماعته فى سرعة ، قائلاً :

ـ (جولدمان) .

وبرقت عيناه فى ظفر ، وهو يلتفت إلى (دافيد) ، هاتفًا :

ـ لقد عثروا على الهليوكوبتر

وتألقت عينا (دافيد)

تألقتا كألف ألف شمس ..

ظافرة .

* * *

٦ ـ العبــور ..

أغمض (قدرى) عينيه ، متظاهرًا بالنوم لبعض الوقت ، بعد انصراف (دافيد) ، إلا أن عقله لم يهدأ لحظة واحدة ، وهو يسترجع تفاصيل لقائه بهذا الأخير ثانية فثانية ، وقلبه يخفق فى عنف ، وهو يلقى على نفسه سؤالاً أقلق مضجعه بشدة

ترى هل وصل (أدهم) إلى (إسرائيل) بالفعل ؟!

هل تحدى كل هذا الخطر من أجله ؟!

ودمعت عيناه فى تأثر ، وهو يسترجع تفاصيل صداقته العميقة مع (أدهم) ، قبل أن يتمتم فى خفوت شديد :

ـ نعم .. لقد فعلها .. فعلها من أجلى .

لم يستطع منع دموعه ، التى انهمرت فى غزارة ، لتغمر وسادته ، قبل أن يمسحها بأصابعه ، متمتمًا :

ـ لو أنه فعلها ، فلا أقل من أن أبذل قصارى جهدى ، لتسهيل مهمته .

ثم نهض من فراشه في حذر ، وسط الظلام الدامس ، الذي ساد حجرته ، وغادر فراشه ، وهو يتحسس طريقه

كانت أصابعه تستحق بالفعل ذلك اللقب ، الذي أطلقه عليه الإسرائيليون ..

لقب (صاحب الأصابع الذهبية) .

فوسط الظلام الدامس ، كانت أصابعه تقوده عبر المكان ، كما لو أن عينيه قد انتقلتا إلى أنامله ، التي تحولت إلى مصابيح قوية ، تضيء له بصيرته .

وفي اهتمام خبير ، تحسس الجدران ، مغمغمًا :

ـ اه .. طلاء إيطالي ، غير قابل للذوبان في الماء .. وهو حديث أيضًا .

ثم انتقل إلى باب الحجرة ، وخدش جزءًا من طلائه بأظفره ، متابعًا :

ـ طلاء إيطالي أيضًا ، من ثلاث طبقات .. عجبًا ! كنت أتصور أن هؤلاء الأوغاد لا يتعاملون إلا مع الولايات المتحدة الأمريكية وحدها

كان عقله يسجل كل تلك المعلومات بسرعة مدهشة ، وهو ينقل أصابعه إلى كل شيء في الحجرة ،

وأصابعه الذهبية تفحصه وتحلله ، وسط ظلام لا يمكنك أن ترى فيه كفك ..

الفراش ..

الأرضية ..

الأدوات ..

وحتى أنسجة الفراش ..

كان وكأنه يصنع لنفسه أرشيفًا خاصًا

أو أنه يعد لعمل ما ..

عمل يتناسب مع مواهبه الفذة ، وقدراته اللامحدودة في عالمه ..

وعندما انتهى من فحص وتسجيل كل ما حوله ، تحسس طريقه إلى فراشه ، وربت على كرشه الضخم ، وهو يرقد فوقه ، متمتمًا في حنق .

ـ من الواضح أن هؤلاء الحقراء سيتبعون معي سياسة التجويع

كان هذا يقلقه ويزعجه بشدة ، إلا أن عناده جعله يعقد حاجبيه في صرامة ، وهو يقول بصوت مرتفع ، وكأنه لا يعنيه أن يسمعه أحدهم :

ـ ولكن هيهات .. (مصر) فوق كل شيء

وعاد يجذب الغطاء عليه ، مستطردًا :

ـ وارجو ان يعوضونى بوجبة دسمة كبيرة . عندما أعود إليها .

واغلق عينيه ، محاولا النوم . الا ان ذلك التساؤل عاد يلح على ذهنه بشدة ..

ترى أين (أدهم) الآن ؟!

أين ؟!

* * *

حلق سرب طائرات الهليوكوبتر المقاتلة فى حذر ، فوق تلك المنطقة ، التى توقفت فيها هليوكوبتر (أدهم) ، التى بدت اشبه ببعوضة ضخمة ، وقد استقرت وسط طريق خلفى غير ممهد ، ومراوحها تدور ..

وعبر جهاز اللاسلكى ، ومن خلال موجة خاصة ، قال قائد السرب لرجاله :

ـ انها رابضة على الأرض ، ولكن محركاتها تدور ، فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

اجابه احد رجاله ، وهو يدور بطائرته حول المكان :

ـ ربما غادرها لسبب ما .

وقال آخر فى حزم :

ـ هل نتخفض لنلقى نظرة ؟!

أجابه القائد فى صرامة :

ـ ليس الآن .. ربما كانت خدعة .

قال أحدهم فى حيرة :

ـ أى نوع من الخداع ؟ إنها على الارض !!

قال القائد :

ـ ربما تم تلغيمها .

جعلهم افتراضه يصمتون بعض الوقت ، قبل أن يقول آخر :

ـ وربما كان ذلك الرجل داخلها ، وقد باغتناه بوجودنا ، فلم يجد فرصة للفرار ، أو للتحليق بها ثانية

قال ثالث فى حزم :

ـ وربما كان فى مكان ما ، يراقبنا ساخرًا

حسم قائدهم الأمر ، وهو يقول :

ـ فليكن يا رجال سنضع كل الاحتمالات أمامنا ، ونتصرف بناء عليها كلها سننقسم إلى ثلاث فرق الفريق الأول سيواصل تحليقه ، وسيتأهب برصاصاته

وصواريخه ، لنسف تلك الهليوكوبتر ، عند أول تصرف مثير للشك ، والفريق الثاني سيدور في دائرة واسعة ، بحثًا عن ذلك المصري ، أو أي أثر له .. أما الفريق الثالث ، والذي سيتكون مني ومن (هارون) ، فسننخفض في حذر بعد إطلاق كل التحذيرات الممكنة ، لنرى ماذا يدور داخل الهليوكوبتر . هيا . استعدوا ..

تأهب الجميع لتنفيذ أدوارهم ، فتابع قائدهم بلهجة آمرة صارمة :

ـ نفّذ .

قالها ، وهو ينخفض بالهليوكوبتر بالفعل ، ويدير مؤشر اللاسلكي إلى الموجة العامة ، التي يتم التعامل بها ، مع كل طائرات المراقبة ، قائلًا في صرامة :

ـ من السرب الأزرق إلى الهليوكوبتر (ب ١٠٣) . نحن نعلم بأمرك ، وأنت محاصر من كل الجهات .. استسلم فورًا ، وأعلن استسلامك عبر اللاسلكي ، ثم غادر الهليوكوبتر رافعًا يديك فوق رأسك ، وإلا أطلقنا صواريخنا عليها .

لم يتلقَّ جوابًا من الهليوكوبتر ، فكرّر تحذيره مرة أخرى ، وهو يواصل الانخفاض مع الهليوكوبتر المصاحبة له ، والتي قال قائدها ، عبر الموجة نفسها :

ـ إنها تبدو لي خالية تمامًا أيها القائد

غمغم قائده في قلق :

ـ هذا لا يعني أنها آمنة .

واصلا انخفاضهما ، حتى صارا على ارتفاع ثلاثة أمتار فحسب من الأرض ، وراحا يدوران حول الهليوكوبتر ، من مسافة خمسة أمتار

وتضاعفت حيرتهما كلما اقتربا .

فقد بدت لهما الهليوكوبتر خالية

خالية تمامًا ..

ولحسم الموقف ، قال القائد :

ـ اهبط بطائرتك يا (هارون) ، وافحص تلك الهليوكوبتر عن قرب ، وسأحمي ظهرك

أجابه (هارون) ، وهو يهبط بطائرته بالفعل .

ـ فليكن ..

هبطت طائرته على مسافة عشرة أمتار من الهليوكوبتر (ب ١٠٣) ، وترك محركها دائرًا ، وهو يحلّ حزام مقعده ، ويستلّ مسدسه ، ويتجه نحو الهليوكوبتر الأخرى ، في حذر بالغ ، وتحفز شديد .

ولكن الهليوكوبتر كانت خالية بالفعل .

ولم يكن بها أي شيء ، يمكن أن يوحي بوجود فخ ما .

وهذا ما نقله (هارون) إلى قائده ، عبر موجة الاتصال الخاصة ، في نفس اللحظة التي انبعث فيها صوت (جولدمان) ، من جهاز الاتصال الآخر ، وهو يتساءل في توتر :

- هل قمتم بنسف الهليوكوبتر ؟!

أجابه قائد السرب في حزم :

- ليس هناك داع لهذا .. إنها خالية .

أتاه صوت (جولدمان) أشبه بالصرخة ، وهو يهتف :

- خالية ؟! ماذا تعني بأنها خالية ؟!

أجابه قائد السرب ، في مزيج من العصبية والسخرية :

- خالية تعني أنه لا يوجد بها أحد .. طائرة بلا قائد .. هل يبدو هذا مفهومًا أكثر ؟!

صاح (جولدمان) :

- أين ذهب قائدها إذن ؟! لقد رصدوها تحلق ، منذ عدة دقائق فحسب .

أجابه القائد :

- إذن فهو هنا في مكان ما حتمًا .

هتف (جولدمان) :

- ابحثوا عنه .. اقلبوا المنطقة كلها رأسا على عقب .. أريده بأي ثمن .

سأله القائد ، وهو يرتفع بطائرته :

- حيًا أم ميتًا ؟!

أجابه في صرامة :

- لا فارق عندي .. اظفروا به فحسب .

وأنهى الاتصال في حنق ، وهو يلتفت إلى (دافيد) ، الذي بدا وجهه شاحبًا كالموتى ، وقال في حدة :

- لقد عثروا على الهليوكوبتر ، ولكنهم لم يعثروا عليه .

تمتم (دافيد) في شحوب :

- لقد سمعت .

ثم راح يحك ذقنه بسبابته في عصبية ، متابعًا :

- ولكن أين هو ؟! لماذا غادر الهليوكوبتر ، في تلك البقعة ؟!

قالها ، ثم راحت أصابعه تضرب أزرار الكمبيوتر ، فقال (جولدمان) في حدة :

- الأمر لا يحتاج إلى عبقرية إليكترونية لفهمه .. لقد غادر الهليوكوبتر ؛ لأنه يدرك بحكم خبرته ، أننا سنطلق خلفه مقاتلاتنا .

أشار (دافيد) بيده ، قائلاً :

- الأمر ليس بهذه البساطة ، فطبقًا لخط سيره ، كان يمكن له أن يطير طوال الوقت على ارتفاع منخفض ، وعلى الرغم من هذا ، ومن خبرته الكبيرة فى الطيران ، فقد ارتفع بالهليوكوبتر ، إلى الحد الذى يتيح لمراكز المراقبة رصده ، قبل أن ينخفض مرة أخرى ، ويضيع أثره ، فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

انعقد حاجبا (جولدمان) فى حنق ، وهو يقول

- يعنى أنه خدعنا .

ثم عض شفتيه ، قبل أن يضيف فى مرارة :

- كالمعتاد .

ثم نهض من خلف مكتبه ، قائلاً فى صرامة عصبية

- ولكنها آخر مرة سيفعل فيها هذا

سأله (دافيد) فى توتر :

- إلى أين ؟!

أشار (جولدمان) بيده ، قائلاً :

- ذلك الرجل يسخر منا ، ويقودنا إلى حيث يريد طوال الوقت ، ولقد سئمت الجلوس هنا ، ومتابعة

الأمور عبر الهاتف واللاسلكى ، والتقارير الدورية ، وذلك الكمبيوتر وتوقعاته السخيفة ، لذا فسأذهب لمتابعة الموقف بنفسى ، عند المدخل الرئيسى للمدينة

سأله (دافيد) :

- وهل تظن أنه من الممكن أن يأتى عبر المدخل الرئيسى ؟!

أجابه فى صرامة :

- إنه يفعل دائمًا ما لا نتوقعه ... أليس كذلك ؟!

ثم صفق الباب خلفه فى قوة ..

- وفى توتر ، تطلّع (دافيد) إلى شاشة الكمبيوتر ، متمتمًا :

- عجبًا ! يبدو أن (جولدمان) هذا عبقرى بالفعل

فقد كانت شاشة الكمبيوتر تحمل التوقع نفسه ..

أن (أدهم) سيأتى عبر المدخل الرئيسى للمدينة

وفى عصبية زائدة ، تراجع (دافيد) فى مقعده ، وهو يتساءل بصوت خافت :

- ولكننا نركز كل قوتنا وإجراءاتنا عند ذلك المدخل الرئيسى ، فكيف يمكن أن يأتى عبره ؟!

نطقها وعيناه معلقتان بشاشة الكمبيوتر ، وعقله يصرخ ..

كيف سيفعلها ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

★ ★ ★

دوت ضحكة (أديب الريس) ، رئيس العمال الفلسطينى عالية مدوية ، داخل سيارته الصغيرة ، التى تقف فى طابور السيارات ، عند المدخل الرئيسى لمدينة (تل أبيب) ، ولوّح بزجاجة الخمر التى يمسك بها ، هاتفًا بصوته الضخم الأجش :

- ما هذا ؟! أهو يوم الحشر أم ماذا ؟! ما كل هذا الزحام ؟! هل فرضوا رسم دخول لـ (تل أبيب) ؟!

كان صوته مميزًا ، كذلك وجهه الممتلئ وأسنانه الصفراء الكبيرة ، فهتف به أحد أصحاب السيارات القريبة زاجرًا :

- اصمت يا (أديب) ، وكف عن عبثك هذا .. إنها إجراءات الأمن الجديدة .

ألقى (أديب) قليلاً من الخمر فى حلقه ، قبل أن يمسح شفتيه بكمه ، هاتفًا :

- إجراءات أمن جديدة ؟! ولماذا إجراءات أمن جديدة ؟! هل شن المصريون الحرب مرة أخرى ؟!

هتف العديدون :

- اصمت يا (أديب) .

فصاح فى غضب :

- اصمت يا (أديب) .. اصمت يا (أديب) .. لا أحد يحب أن يتكلم (أديب) .. فليذهب (أديب) إلى الجحيم ، حتى تهدءوا جميعًا

ثم ضغط دواسة الوقود ، واندفع بسيارته الصغيرة متجاوزًا الطابور ، على الرغم من سخط واستهجان الجميع ، وصاح فى ضابط المراقبة ، عند مدخل المدينة :

- هاى .. كيف حالك يا نقيب (سولومون) ؟! هل ستتركنى أنتظر كل هذا الوقت ؟! أنت تعلم أننى رب أسرة محترم ، يعود دائمًا إلى منزله مبكرًا

انعقد حاجبا (جولدمان) ، الذى وصل إلى نقطة المراقبة من فوره ، وقال للنقيب فى غضب

- من هذا المعتوه ؟!

أجابه النقيب (سولومون) فى حرج :

- إنه (أديب الريس) .. رئيس عمال فلسطين ، يعمل فى (يافا) ، ويقيم هنا فى (تل أبيب) ..

صمت لحظة ، ازدرد خلالها لعابه ، قبل أن يضيف :

- وهو أحد المتعاونين معنا .

رمقه (جولدمان) بنظرة صارمة ، وهو يسأله :

- رسميًا أم وديًا ؟

تلفت النقيب (سولومون) حوله ، وهو يقول :

- إن له أصدقاء عديدين فى (أمان) يا سيدى (*)

هتف (جولدمان) مستنكرًا :

- هذا ؟!

صاح (أديب) ، فى تلك اللحظة ، بصوته الخشن ، ولهجته التى تشف فى وضوح ، عن لتر الخمر الذى تناوله :

- هيه أيها النقيب (سولومون) . دعنى أعبر أولاً . أنت تعلم أننى لا أحتمل الانتظار هيا . من أجل صداقتنا الطويلة .

هتف به النقيب فى حرج :

- اصمت يا (أديب) .

أبرز الرجل رأسه ، من نافذة سيارته الصغيرة ، مكملاً بابتسامة بغيضة ، تبرز أسنانه الصفراء الكبيرة :

- ومن أجل زجاجة النبيذ المعتقة ، التى أهديتها لك هذا الصباح .

(*) أمان : اسم يطلق على جهاز المخابرات الحربية الإسرائيلى

احتقن وجه النقيب ، وهو يهتف :

- أيها الـ ...

قاطعه (جولدمان) ، وهو يبتسم ابتسامة خبيثة ، قائلاً :

- لا بأس يا نقيب (سولومون) لا بأس دعه يعبر .

قال (سولومون) فى ارتباك شديد :

- لا تصدق ما يقوله يا سيدى فهو مخمور . و

قاطعه (جولدمان) مرة أخرى :

- لا بأس يا نقيب (سولومون) إننا نبحث عن جاسوس مصرى ، ولسنا بصدد محاسبتكم عما تفعلونه لتسهيل أموركم هنا هيا الرجل يتعاون معنا . افحص أوراقه جيدًا ، ثم دعه يعبر ، إكرامًا لتعاونه

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

- ومن أجل زجاجة النبيذ المعتقة

احتقن وجه النقيب (سولومون) أكثر وأكثر ، وهو يشير إلى (أديب) ، قائلاً فى حدة وخشونة .

- تعال

ملأت ابتسامة (أديب) وجهه ، وهو يندفع بسيارته نحوه ، وقال بصوته الخشن :

- هل راقت لك الزجاجة ؟!

أجابه النقيب فى سخط :

- ستحاسب فيما بعد .. والآن أبرز أوراقك ، وافتح حقيبة سيارتك .

قال (أديب) ، وهو يبذل جهدا كبيرا ، لإخراج أوراقه من جيبه

- الأوراق نعم ، أما الحقيبة فلن يمكننى الخروج من السيارة لفتحها ، خذ أنت المفاتيح ، وافتحها بنفسك

التقط (سولومون) مفاتيح السيارة فى سخط ، وراح يفتش حقيبتها ، ثم أعاد المفاتيح للفلسطينى ، قائلا فى صرامة :

- هيا .. انطلق إلى منزلك مباشرة ، وفى المرة القادمة ، سألقى القبض عليك ، بتهمة قيادة السيارة وأنت مخمور

هتف (أديب) :

- مخمور ؟! من هذا المخمور ؟!

صاح (سولومون) فى غضب :

- هيا .. انطلق .

انطلق (أديب) بسيارته بالفعل ، وهو يلوح بيده ، قائلاً

- شكرًا يا نقيب (سولومون) .. ذكرنى أن أهديك قداحة فضية ، تتناسب مع علبة السجائر التى أهديتك إياها الأسبوع الماضى .

احتقن وجه (سولومون) ، وهو يتمتم :

- أيها الوغد .

أشار إليه (جولدمان) فى صرامة ، قائلاً :

- تابع عملك أيها النقيب .. لا نريد أن يفلت منا ذلك الجاسوس أبدًا ، مهما بلغت مهارته .. إنك لا تريد أن تفقد عملك هنا .. أليس كذلك ؟!

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

- خاصة وأنك تربح الكثير منه

كاد النقيب ينفجر ، من فرط غيظه وحنقه ، إلا أنه راح يفرغ كل هذا فى فحصه لأوراق ركب السيارات ، بمنتهى الصرامة والقسوة ..

أما (أديب) ، فقد انطلق بسيارته ، عبر شوارع (تل أبيب) ، متجها إلى منزله ، وهو يرفع عقيرته بالغناء ، ويردد أغنية فلسطينية شعبية شهيرة ، بصوته الأجش الخشن ، على نحو كاد يوقظ الحى الذى يقيم فيه كله ، وهو يوقف سيارته أسفل منزله ،

ثم يغادرها مترنحا ، وملوحًا بزجاجة الخمر ، التى شارفت النفاد ..

« (أديب) .. »

سمع الهتاف من خلفه ، بصوت صارم غاضب ، فالتفت إلى صاحبه ، وهتف :

- مساء الخير يا رجل .. هل تحب تناول جرعة من زجاجتى هذه .

تقدم نحوه كهل فلسطينى ، فى غضب شديد ، وهو يقول :

- ماذا دهاك يا (أديب) ؟! كيف تجلب العار لأسرتك وعائلتك على هذا النحو ؟!

ترنح (أديب) فى وقفته ، وهو يتساءل .

- العار ؟! أى عار ؟!

هتف الرجل فى ثورة :

- ألا تدرك ما آل إليه حالك يا رجل ؟! ألم تلق نظرة على نفسك فى المرآة مرة واحدة ، عند عودتك إلى منزلك كل ليلة ، وأنت تترنح من فرط الخمر ، على هذا النحو ؟!

ابتسم (أديب) ، ولوح بالزجاجة ، قائلاً :

- الخمر تفعل هذا بالجميع يا عماه .



تقدم نحوه كهل فلسطينى ، فى غضب شديد ، وهو يقول
- ماذا دهاك يا (أديب) ؟! كيف تجلب العار لأسرتك

اختطف الرجل زجاجة الخمر من يده ، وألقاها بعيداً في غضب ، لترتطم بجدار المنزل ، وتتحطم في عنف ، فصاح (أديب) مستنكراً :

ـ لقد أهدرت خمراً جيدة .

صاح الرجل :

ـ فليذهب خمر الدنيا كله إلى الجحيم .. المهم أن تستعيد نفسك يا ولدي .

ثم أمسك به في غضب ، مستطرداً في انفعال

ـ ألا تدرك من أنت بالضبط ؟! إنك واحد من عائلة (الريس) .. أفضل وأعرق العائلات الفلسطينية .. كيف يمكن لمثلك أن يصادق العدو ويتعاون معه على هذا النحو ؟! عائلتك كلها لم تعرف خائناً واحداً في تاريخها الطويل ، فكيف تأتي أنت لتصمها بالعار إلى الأبد ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق في عينيه بدهشة مذعورة ، فسأله (أديب) في قلق واضح

ـ ماذا هناك يا عماه ؟!

تراجع الرجل بحركة حادة ، وكأنما هوت على صدره صاعقة قوية ، وهتف بصوت مختنق

ـ من أنت بالضبط ؟!

ـ أجابه (أديب) في حذر :

ـ أنا (أديب) يا عماه .. (أديب الريس)

صاح به الرجل في عصبية ، وهو يتراجع أكثر

ـ لا .. أنت لست (أديب) .. من أنت .

لم يكد يطلق صيحته ، حتى اتسعت عيناه بدهشة بالغة ، فقد ذهب كل أثر للخمر من (أديب) فجأة ، وتحول إلى كتلة من الاتزان والنشاط ، وهو يثب نحوه ، ويضع يده على فمه ، قائلا في صرامة

ـ أنت على حق يا عماه .. أنا لست (أديب)

واتسعت عينا الرجل أكثر وأكثر ..

وانتفض جسده كله في عنف .

فالصوت الذي تحدث به الرجل ، لم يكن ينتمي ، بأي حال من الأحوال ، إلى صوت (أديب الريس) ، الخشن الأجش ..

لقد كان صوت رجل آخر ..

رجل يدعى (أدهم) ..

(أدهم صبري) .

★ ★ ★

٧ـ أرض المعـــركة ..

« سيدى .. استيقظ .. لقد وصلت البرقية المنتظرة .. »

تسللت العبارة الى أذنى مدير المخابرات العامة ، وهو مستغرق فى نوم عميق ، على ذلك الفراش الصغير ، فى الحجرة الملحقة بمكتبه ، ولم تكد تبلغ عقله ، حتى استيقظ كله دفعة واحدة ، فهب جالسًا على فراشه ، وهو يقول بصوت مبحوح

ـ حقًا ؟! أين هى ؟!

ناوله مساعده البرقية ، وهو يقول

ـ كنت مستغرقًا فى نوم عميق .. ولولا أوامرك بضرورة ايقاظك ، فور وصول هذه البرقية ، لما جرؤت على ..

قاطعه المدير فى لهفة :

ـ أين منظارى ! ناولنى إياه .

ناوله مساعده منظاره ، وهو يقول :

ـ لقد أعددت قدحًا من القهوة .

غمغم المدير ، وهو يضع منظاره على أنفه :

ـ عظيم .

كان يبدو وكأنما استعاد نشاطه كله دفعة واحدة ، وهو ينهض ، ويتحرك فى المكان فى حماس ، ملتهمًا سطور البرقية ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة كبيرة ، ويغمغم فى ارتياح :

ـ حمدًا لله .

ابتسم مساعده ، قائلاً :

ـ لقد فعلها سيادة العميد (ادهم) مرة أخرى يا سيدى .. لقد أصبح داخل (تل ابيب) بالفعل ، على الرغم من كل ما فعلوه .

ارتشف المدير رشفة من قدح القهوة ، متمتمًا .

ـ كنت أعلم أنه لها .

قال مساعده بابتسامة كبيرة :

ـ لقد فعلها بعبقرية أيضا ، وكما خطط تمامًا .. لقد جذب الإسرائيليين لمطاردة طائرة هليوكوبتر ، استولى عليها مسبقا ، ثم تركها خالية ، وقطع مسافة قصيرة على قدميه ، قبل ان يلتقى بـ (اديب الريس) ،

الذي أحضر له كل ما يحتاج إليه ، وتعاون معه لينتحل شخصيته ، ويعود بها إلى (تل أبيب) ، مع تفاصيل علاقته بذلك النقيب الإسرائيلي ، حتى صباح أمس

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ من الطبيعي والحال هكذا ، ألا يشك أحد في أمر (أدهم) ، وهو يدخل (تل أبيب) في هيئة معروفة لديهم ، خاصة وأن (أديب) يتظاهر بالتعاون مع (أمان) منذ عدة سنوات ، دون أن يدركوا أنه يعمل لحسابنا ، بمعرفة السلطة الفلسطينية

سأله مساعده في اهتمام :

ـ وماذا عن (أديب) الحقيقي ؟!

أجابه المدير ، وهو يرتشف قهوته في استمتاع :

ـ سيقضي ليلته عند عميل آخر لنا في (يافا) ، وسيارته ستصل إليه هذا الصباح ، بعد انتهاء نوبة صديقه (سولومون) ، وسيذهب إلى عمله ، ويعود ليلاً إلى (تل أبيب) ، وهو يتظاهر بكونه مخموراً كالمعتاد .

وعادت ابتسامته إلى شفتيه ، وهو يتطلع عبر نافذة حجرته إلى السماء المشرقة ، مستطرداً :

ـ لقد سار كل شيء كما خططنا له تماما

أشار مساعده إلى البرقية ، قائلا :

ـ وماذا عن هذه البرقية ؟!

سأله المدير في هدوء :

ـ ماذا عنها ؟!

قال في حيرة :

ـ لقد أرسلها سيادة العميد (ادهم) من (تل أبيب) ، مستخدما شفرة قديمة ، لم تعد متداولة

ارتسمت على شفتي المدير ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ لا بأس إنه لم يشرح أية تفاصيل ، ولم يذكر اسم (أديب) ، أو يشير فيها إلى ما يمكن أن يكشف شخصيته

قال المساعد ، في حيرة أكثر :

ـ ولكن الإسرائيليين سيعترضونها حتماً ، وسيمكنهم حل هذه الشفرة القديمة ، وحتى بدون إطلاعهم على التفاصيل ، فسيدركون أنها مرسلة من قلب (تل أبيب) ، وأن سيادة العميد (أدهم) هو مرسلها .

اتسعت ابتسامة المدير الغامضة ، وهو يقول

- ألم أقل لك : إن كل شيء يسير كما خططنا له تمامًا ؟!

بدت الحيرة لحظة على وجه المساعد ، ثم لم يلبث أن هتف :

- آه .. بالتأكيد .

وانتقلت اليه ابتسامة المدير الواسعة

تلك الابتسامة ، التي تلاشى منها الغموض ، وحلت محله الثقة ..

ثقة كبيرة ..

وبلا حدود ..

* * *

انهمرت دموع الفرح في غزارة ، على وجه الحاج (فادى) الفلسطيني ، وهو يهتف في سعادة :

- إذن فـ (أديب) ليس خائنًا . حمدًا لله حمدًا لله لا يمكنك أن تتصور كم أسعدتني باعترافك هذا يا ولدى لا يمكنك أن تتصور أبدًا

ربّت (ادهم) على كتفه في تعطف ، قائلاً :

- اطمئن يا عماه (أديب) لم يكن خائنًا لحظة واحدة بل هو بطل ، يستحق أن يفخر به كل

فلسطيني ، وليس عائلة (الريس) وحدها . ولولا الظروف التي اضطرتني لمصارحتك بامره ، لما أعلن هو الأمر قط ، حتى ولو رجمتموه بالأحجار ، جزاء خيانته الوهمية .

مسح الحاج (فادى) دموعه ، وهو يقول بابتسامة ملؤها الزهو والفخر :

- سامحنا يا ولدى وليسامحنا (أديب) أيضًا ، ولكن صداقته لهؤلاء المحتلين ، والخمر التي يتدولها كل ليلة ، و ...

قاطعه (أدهم) مبتسمًا :

- (أديب) لم يتناول قطرة خمر واحدة ، في حياته كلها .

ارتفع حاجبا الحاج (فادى) بدهشة ، قبل أن يهتف ضاحكا :

- حتى هذا كان خدعة ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- إنه مزيج من الينسون ، والشاى ، مع قليل من مشروب الشعير اللاكحولي .

قهقه الحاج (فادى) ضاحكًا في سعادة ، وهو يقول :

ـ لقد نجح في خداعنا جميعًا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة هادئة ، وهو يغسل وجهه في عناية ، قائلاً :

ـ (أديب) صديق عزيز . ولقد تدربنا معًا في شبابنا ، وما زلنا نلتقي ، كلما أتاحت لنا الظروف هذا .

هز الحاج (فادى) رأسه ، قائلاً في ارتياح :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، الذي بدأ في وضع تنكره الجديد ، وقال :

ـ ولكن لماذا أفصحت لي بكل هذا يا سيدي ؟!

أجابه (أدهم) في هدوء :

ـ لقد كشفت أمري أمس ، ولم يكن هناك حل بديل .

قال الرجل في امتنان :

ـ ولكن ألم تخش أن ....

قاطعه (أدهم) في حزم :

ـ لا تنطقها .

ثم عاد يواصل عمله ، مستطردًا :

ـ أنا أثق بك .

هتف الحاج (فادى) :

ـ لماذا ؟! إنك حتى لا تعرفني .

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هل تعتقد هذا ؟

ثم التفت إليه ، مستطردًا :

ـ أنت جار (أديب) ، وزوج عمته ، وهو يحبك ويحترمك كثيرًا ، وفي كل مرة نلتقي ، كان يتحدث عنك بسعادة واحترام ، وربما كان الشيء الوحيد الذي يحزنه ، في الدنيا كلها ، هو أنك تظنه صديقًا للإسرائيليين .

استمع إليه الحاج (فادى) مبهورًا ، وهو يغمغم :

ـ حقًا ؟!

أجابه (أدهم) بلهجة حازمة :

ـ والواقع أننا قد حصلنا على موافقة السلطة الفلسطينية بالفعل ، لضمك إلى الشبكة ، التي يديرها (أديب) في (تل أبيب) .

اتسعت عينا الرجل عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ أنا ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يعاود عمله :

- نعم .. أنت يا حاج (فادى) .. ترى هل تقبل هذا العرض ؟!

هتف الرجل :

- أقبله ؟!

ثم هبَّ من مقعده ، مستطردًا فى حماس بالغ :

- إننى أحلم به منذ زمن .

قال (أدهم) فى حزم ، وهو يتابع عمله :

- الدرس الأول ، الذى ينبغى أن نتعلمه ، هو أن نطرح الأحلام جانبًا ، ونحيا فقط فى عالم الواقع

قال الحاج (فادى) فى حماس :

- أعدك أن أفعل .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

- عظيم .. الليلة إذن ، عندما تلتقى بـ (أديب) ليلاً ، وهو يترنح كالمعتاد ، لا تنس أن تثور فى وجهه وتوبخه وتعنفه كعادتك .. لا تغيِّر شيئًا من عاداتك ، حتى لا تجذب انتباه أحد

قال الرجل فى انتباه :

- سأبذل قصارى جهدى .

تابع (أدهم) :

- وعندما تسنده إلى مدخل منزله كالمعتاد ، أخبره أنك قد ابتعت له زجاجة خمر ، من النوع الذى لايسكر .

سأله الرجل فى دهشة :

- أيوجد خمر لا يسكر ؟!

قال (أدهم) فى صرامة :

- فقط أخبره بهذا ، وسيفهم ما تقصده

انعقد حاجبا الحاج (فادى) بضع لحظات ، ثم لم تلبث أساريره أن انبسطت ، وهو يقول بابتسامة كبيرة :

- فهمت

غمغم (أدهم)

- عظيم

كان قد انتهى من عمله تقريبًا ، والتفت إلى الرجل ، الذى اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يهتف :

- ربَّاه !

وحدق فى ملامحه الجديدة لحظة ، قبل أن يستطرد :

- إنك .. إنك تشبهه تمامًا .

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

- هذا ليس أفضل أعمالى .

سرت رجفة فى جسد الحج (فدى) ، وهو يهتف

- وصوته ايضا هذا مستحيل ! إنك أنت

لوّح (أدهم) بيده ، قائلا :

- نعم إننى هذا يكفى المهم أن تنفذ ما أخبرتك به بمنتهى الدقة .

أجابه الرجل ، وهو يشد قمته فى اعتداد

- اطمئن .. سأفعل .

ثم عاد يهز رأسه فى انبهار ، مستطردًا :

- ولكنك بالفعل تشبهه ، الى حد مذهل

أشار (أدهم) بسبابته ، وهو يقول :

- هذه هى النقطة يا صديقى أننى اشبهه

ثم حملت شفتاه ابتسامة غامضة حذلة ، وهو يضيف

وإلى حد مذهل .

ولم يفهم الحاج (فدى) ما يعنيه قوله هذ

ولكنه لاحظ أن ابتسامته قد أصبحت اكثر جذلا وغموضًا ..

أكثر بكثير ..

★ ★ ★

بغتة ، هب (دافيد) من فراشه ، فى حركة حادة ، ليجلس على طرفه ، على نحو جعل زوجته تسأله مذعورة :

- ماذا حدث ؟!

انعقد حاجباه فى توتر ، وهو يلوح بيده ، قائلا

- لا شىء .. عودى إلى النوم ..

سألته فى قلق :

- أهو حلم مزعج ، أم ..

قاطعها فى حدة :

- قلت لك : لا شىء عودى إلى نومك .

رمقته بنظرة غاضبة ، قبل أن تدير عينيها إلى الناحية الاخرى ، وتهمهم بكلمات غير مفهومة ، ثم تجذب الغطاء فوقها ، فى حين غادر هو الحجرة كلها ، والتقط علبة من علب الجعة ، من البراد الكبير ، وراح يجرعها فى لهفة ، قبل أن يهتف

- اللعنة ! لا يمكننى ان أصدق ما حدث !!

ألقى جسده على مقعد وثير ، فى حجرة المعيشة ، وهو يتابع فى حنق :

- كيف دخل (تل ابيب) ؟! لقد اتخذت كل

الاحتياطات الممكنة ، وأغلقنا كل المنافذ ، فكيف ؟!
كيف ؟!

كانت أعماقه تشتعل بغضب بلا حدود ، وهو يراجع كل ما حدث ليلة أمس ..

بل وحتى ساعة مبكرة من الصباح

وفى حنق ، ألقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى السابعة والنصف صباحًا ، قبل أن يطلق زفرة ملتهبة ، ويجرع المزيد والمزيد من البيرة

وفجأة ، ارتفع رنين جرس الباب

وربما كان أكبر دليل على توتر أعصابه المشدودة ، هو تلك القفزة العصبية المذعورة ، التى عبر بها مترين كاملين من حجرة المعيشة ، ليختطف مسدسه من فوق المائدة الأنيقة ، فور سماعه الرنين

أو ربما كان تلك السرعة ، التى بلغ بها باب المنزل ، وهو يهتف فى عدوانية عصبية :

ـ من بالباب ؟!

أتاه صوت (جولدمان) ، وهو يقول بصرامته المعهودة :

ـ إنه أنا .

ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، قبل أن ينعقدا فى شك ، وهو يقول فى حذر :

ـ كنت أتصور أنك غارق الآن فى نوم عميق يا أدون (جولدمان) !

هتف (جولدمان) محنقًا :

ـ ومن يمكنه النوم ، بعد ليلة كهذه .

ثم هتف فى حدة :

ـ افتح يا رجل كنت واثقًا من أنك لم تذق النوم مثلى .

أسرع (دافيد) يفتح الباب ، واستقبل رئيسه ، قائلا :

ـ معذرة للفوضى هنا ، فزوجتى نائمة ، و

قاطعه (جولدمان) بإشارة صارمة ، وهو يقول

ـ لا عليك .. لا عليك .

ثم دلف إلى المنزل ، وألقى نفسه على أريكة حجرة المعيشة ، مستطردًا فى حنق :

ـ قل لى ، ما الذى يقصده ذلك الرجل فى رأيك ؟!

تمتم (دافيد) فى حذر :

ـ ذلك الرجل ؟!

صاح (جولدمان) محتدًا :

ـ (أدهم صبرى) يا رجل .. إننى أتكلم عن (أدهم صبرى) .

جلس (دافيد) على المقعد المقابل للأريكة ، وهو يقول فى مرارة :

ـ لقد تحدانا وسخر منا .. عندما أرسل برقية وصوته بشفرة قديمة ، يمكننا حل رموزها فى بساطة .. لقد أراد أن يبلغنا بنفسه أنه هنا .

أشاح (جولدمان) بوجهه ، وهو يتمتم فى حنق :

ـ ذلك الوغد !

نهض (دافيد) ليحضر له علبة من علب الجعة ، وهو يقول :

ـ هل تعلم أننى قد استشرت الكمبيوتر بشأن هذا ؟!

استدار إليه (جولدمان) ، متسائلا :

ـ الكمبيوتر !!

أشار (دافيد) بيده ، وهو يقول فى حدة :

ـ الكمبيوتر المفكر .. الذكاء الصناعى .. ذلك البرنامج الذى يعلم نفسه بنفسه ، ويكتسب خبراته على نحو تراكمى ، والذى نستخدمه لتوقع خطوة (أدهم) القادمة .

هتف (جولدمان) :

ـ حسن .. أنا أعلم هذا بالتأكيد ..

ثم مال نحوه ، متسائلا فى اهتمام :

ـ هل استشرته حقًا ؟!

أومأ (دافيد) برأسه إيجابا ، فسأله (جولدمان)

ـ وما الذى أخبرك به ؟!

أجابه (دافيد) فى اهتمام بالغ :

ـ فى هذه المرة ، طرحت عليه الأمر بشكل جديد ، فلم أنقل إليه ما حدث ، وأطالبه باستنتاج الخطوة التالية ، وإنما سألته ، ما تفسيره لما حدث ؟! وما الذى أخطأنا فيه هذه المرة ؟!

اعتدل (جولدمان) فى اهتمام ، مما شجع (دافيد) على أن يستطرد :

ـ الخطأ الذى أشار إليه ، هو أننا لم نحصل على تسجيل لأسماء كل من دخل إلى (تل أبيب) ، وأرقام سياراتهم ، للرجوع إليهم وقت الحاجة

أومأ (جولدمان) برأسه ، قائلا :

ـ إنه على حق فى هذا .

تابع (دافيد) ، وكأنه لم يسمعه :

- أما بالنسبة لتفسير ما حدث ، فقد طرح احتمالين منطقيين للغاية .. أولهما أن يكون (أدهم صبرى) قد دخل المدينة ، منتحلاً شخصية رجل معروف لطاقم المراقبة ، بحيث لم يستوقفه أحد أو يشك فى أمره ؛ لاعتيادهم رؤيته ، ولقد حصر هذا الشخص فى الفئات التى تعمل خارج (تل أبيب) ، وتقيم داخلها ، بحيث تضطرها ظروفها هذه للسفر يوميًا ، من وإلى (تل أبيب)

غمغم (جولدمان) فى بطء :

- كمبيوتر عبقرى بالفعل .

أشار (دافيد) بيده ، قائلاً :

- الاحتمال الثانى يثبت عبقريته أكثر وأكثر

تراجع (جولدمان) ، ليسند ظهره إلى الأريكة ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، متمتمًا :

- وما هذا الاحتمال الثانى ؟!

نهض (دافيد) فى انفعال ، قائلاً :

- أن (أدهم صبرى) لم يدخل (تل أبيب) على الإطلاق .

ارتفع حاجبا (جولدمان) فى دهشة ، قبل أن يقول ساخرًا :

- لم يدخلها على الإطلاق ؟! أى احتمال هذا ؟!

دار (دافيد) حول الأريكة ، وهو يجيب فى حماس :

- لقد افترض أن خصمنا قد لجأ إلى آخر ما يمكن توقعه كمعتاد ، واستنتج أن أحد عملاء المصريين أرسل تلك البرقية الشفرية ، بناء على تعليمات المخابرات المصرية ، مستخدمًا الشفرة القديمة ، حتى تقع فى أيدينا ، ونتصور منها أن (أدهم صبرى) داخل (إسرائيل) بالفعل .

سأله فى حذر :

- وبمَ يفيد هذا ؟!

لوَّح بذراعيه كليهما ، مجيبًا :

- ستنتقل جهودنا بالطبع ، من تأمين مداخل (تل أبيب) ، إلى البحث داخلها عن عدونا ، وسيعنى هذا أن يخف الضغط عن المداخل ، مما يمنحه الفرصة للدخول إلى المدينة .

كان من الواضح أن ذلك الاحتمال الأخير قد بهر (جولدمان) لحظة ، قبل أن ينهض بدوره ، قائلاً فى حزم :

- احتمال منطقى ومدروس للغاية ، ولكننى أميل إلى الاحتمال الآخر .

مط (دافيد) شفتيه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- هل تعنى أنه داخل (تل أبيب) ؟!
أشار (جولدمان) بسبابته ، وهو يجيب
- هذا ما حدث .
قال (دافيد) فى حدة :
- بل أنا أميل إلى الاحتمال الثانى .
هز (جولدمان) كتفيه ، وهو يعيد علبة الجعة إلى البراد ، قائلا :
- هذا شأنك .
هتف (دافيد) :
- بل هذا ما يبدو أكثر منطقية .
دس (جولدمان) كفيه فى جيبى سرواله ، وهو يقول
- ولماذا ؟!
أجابه فى عصبية :
- لأنه ليس من المنطقى أن يرسل تلك البرقية بنفسه ، ليعلن عن وجوده فى (تل أبيب)
قال (جولدمان) فى هدوء :
- إنه نوع من التحدى .
سأل (دافيد) فى حدة :
- وبمَ يفيده التحدى ؟!
هزَّ (جولدمان) كتفيه ، قائلاً :

- هذا دأبه دائمًا .
وصمت لحظة ، ثم أضاف :
- أو أنه يسخر من (الموساد) كله .
احتقن وجه (دافيد) ، وهو يقول فى حدة
- لا أحد يمكنه أن يسخر من أقوى جهاز مخابرات فى العالم .
رمقه (جولدمان) بنظرة ساخرة ، قبل أن يسأله
- ألم يفعل من قبل ؟!
هتف (دافيد) :
- ليس فى هذه المرة .
قال (جولدمان) فى سخرية :
- وما الفارق ؟! أهو جهاز الكمبيوتر الجديد ؟!
أشار (دافيد) بسبابته ، قائلا :
- بل الإجراءات التى أشار بها .
سأله (جولدمان) :
- وما هى ؟! هل سنفتش منازل (تل أبيب) كلها ؟!
أجابه (دافيد) :
- نعم .. سنقوم بعملية تمشيط منظمة للمدينة ، وبخاصة الأجزاء العربية منها ، وسنراجع هوية كل شخص يقيم فيها ، و ...

قاطعه (جولدمان) فى سخرية :

ـ هراء .

هتف (دافيد) فى حنق :

ـ ولماذا هراء ؟!

اتجه (جولدمان) نحو النافذة ، وتطلع عبرها فى هدوء ، وكفاه مازالتا فى جيبى سرواله ، وهو يجيب :

ـ لأن عملية كهذه تحتاج إلى عدد هائل من الجنود ، وستثير حالة من القلق والبلبلة لا مثيل لهما ، وستنتشر الأقاويل ، على نحو لن يروق للساسة قط

لوّح (دافيد) بيده ، هاتفا :

ـ فليذهب الساسة إلى الجحيم .. المهم أن نظفر به

لم يعلق (جولدمان) على عبارته ، فاتجه إلى البراد ، واختطف علبة جعة أخرى ، وعاد يلقى نفسه على المقعد المواجه للأريكة ، قائلا :

ـ لا ينبغى أن نسمح له بالسخرية منا أبدا

لم ينطق (جولدمان) بحرف واحد ، فى هذه المرة أيضا ، وهو يواصل التطلع عبر النافذة فى صمت ، وكأنما راق له المشهد خارجها ، فأضاف (دافيد) ، وهو يجرع بعض الجعة فى توتر :

ـ ولو استمعت إلى جيدا ، وراجعت كل الاستدلالات

المنطقية ، فستدرك أن الاحتمال الثانى ، الذى طرحه الكمبيوتر ، هو الأكثر منطقية ، و ..

قاطعه (جولدمان) فى صرامة جافة :

ـ خطأ .

بدت الدهشة على وجه (دافيد) ، وهو يغمغم :

ـ خطأ ؟!

أجابه (جولدمان) فى صرامة :

ـ نعم .. خطأ .. (أدهم صبرى) هنا .. فى (تل أبيب) .

لوّح (دافيد) بيده فى عصبية ، هاتفا :

ـ وكيف يمكنك أن تقولها بكل هذه الثقة ؟

استدار إليه (جولدمان) فى هدوء ، وحمل وجهه ابتسامة ساخرة كبيرة ، وهو يقول بصوت مختلف تماما ، عن صوت (مائير جولدمان) :

ـ لأننى أنا (أدهم صبرى) أيها الوغد

وكانت مفاجأة لرجل (الموساد) الإسرائيلى مفاجأة مذهلة .

* * *



استدار إليه (جولدمان) في هدوء ، وحملت وجهه ابتسامة ساخرة كبيرة

٨ - العبث ..

« أيها الأوغاد .. إنني أتضور جوعًا »

هتف (قدرى) بالعبارة في حنق ، وهو يلوّح بقبضته ، قبل أن يضيف غاضبًا :

- هناك قواعد لمعاملة الأسرى .. أليس كذلك ؟!

أجابه صوت خشن جاف ، عبر ناقل صوتي ، بلغة عربية ، ولهجة شامية ركيكة :

- أنت تعرف القواعد أيها المصرى .. الطعام مقابل المعلومات فقط .

صاح في سخط :

- هذا ليس آدميًا .

ثم ربّت على كرشه ، مستطردًا :

- وبخاصة بالنسبة لشخص رقيق مثلى

كان الجوع ينهش أمعاءه بالفعل ، على الرغم من أن عقرب الساعة لم تتجاوز الثامنة صباحًا بعد ، فتمتم ، وهو يتحسس جزءًا من قائم السرير المعدنى ،

- يا للأوغاد ! إنهم لا يقيمون وزنا لأية قواعد

زفر فى عصبية ، وراح يدور فى الحجرة متوترا ، ويقول لنفسه .

- ترى إلى متى يمكننى احتمال هذا ؟! هؤلاء الأوغاد اختاروا سلاحا ماضيا بالفعل .. لقد أدركوا نقطة ضعفى .

التقى حاجباه ، وهو يتحسس ذلك الجزء من القائم المعدنى فى اهتمام وحذر ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة باهتة ، ويتمتم فى خفوت شديد :

- عظيم .. إنه يصلح تماما ، ولكن هذا سيستغرق بعض الوقت .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انفتح باب الحجرة ، وظهر على عتبته شاب ممشوق القوام ، صارم الملامح ، رمقه بنظرة حادة ، قائلا :

- صباح الخير يا سيد (قدرى) .

لم يرد (قدرى) عبارته على الفور ، مع تلك الرائحة الشهية ، التى تسللت إلى أنفه ، من خلف الشاب ، فمال بعنقه ، ليلقى نظرة على مائدة متحركة ، حملا صنوفا من أطيب الطعام ، يدفعها أحد الجنود

إلى الحجرة ، على نحو سال له لعابه ، حتى كاد يقفز نحوها ، ويلتهم الطعام الذى تحمله بالقوة ، حتى ولو أطلقوا النار عليه ..

ولكن ذلك الشاب اعترض طريقه ، وهو يقول فى سخرية :

- أراهن على أنك تتضور جوعا يا سيد (قدرى)

ازدرد (قدرى) لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد ، وقواعد معاملة الأسرى تنص على ..

قاطعه الشاب فى صرامة :

- لا شأن لك بأية قواعد ، فلنا قواعدنا الخاصة

تطلع (قدرى) إلى مائدة الطعام فى لهفة ، وشعر بأنين معدته ، وهو يتمتم :

- وهل تتضمن قواعدكم الموت جوعا ؟!

ابتسم الشاب فى سخرية واثقة ، وهو يقول

- إنها تتضمن كل ما يفيد مصالحنا .. أيا كان

وعاد يشد قامته ، مستطردا فى صرامة :

- ثم إنك تعرف القواعد .

تمتم (قدرى) ، وهو يعجز عن رفع عينيه عن الطعام :

- أية قواعد ؟!
أجابه ، وهو يتابع نظراته :
- المعلومات مقابل الـ .... الطعام .
ازدرد (قدرى) لعابه مرة أخرى ، وتعالى أنين معدته ، وهو يقول :
- هذا غير آدمى .
قال الشاب فى برود :
- فليكن ، ولكنها قواعدنا .
ربت (قدرى) على معدته ، وهو ينقل بصره إلى ذلك الشاب ، متسائلاً :
- اية معلومات ترغبون فى الحصول عليها ؟
اتسعت ابتسامة الشاب ، وحملت الكثير من الثقة والظفر ، وهو يقول :
- كل ما يمكنك منحنا اياه يا سيد (قدرى)
تطلع (قدرى) مرة أخرى إلى الطعام فى لهفة ، وقال :
- لا يوجد معنى لقولك هذا .. لا بد ان تحدد مقدار المعلومات ، المناسب لكل وجبه .
أشار الشاب إلى المائدة ، قائلاً :

- سيدهشك اننا نتمتع بسخاء وكرم لا مثيل لهما يا سيد (قدرى) ، على الرغم مما يرددونه عنا ، لذا فانا أعرض عليك تناول كل هذه الوجبة ، مقابل الإفصاح عن مصدر خدمات التزوير ، التى تستخدمها فى عملك .
ظلت عينا (قدرى) معلقتين بالطعام لبضع لحظات ، قبل أن يرفع عينيه الى الشاب ، متسائلا فى خفوت
- الوجبة مقابل المعلومة ؟!
أجابه الشاب فى حزم :
- بالتأكيد .
هز (قدرى) رأسه ، قائلاً فى غضب صارم
- يا له من ثمن بخس للخيانة!
ثم اتجه الى فراشه فى حزم ، مستطردًا فى تعال
- هيا .. خذ طعامك هذا وانصرف من هنا يا رجل ، فقد قررت الصيام .
احتقن وجه الشاب ، وقال فى غضب :
- إلى متى ؟ هل ستصوم الدهر كله ؟
أجابه فى صرامة ، وهو يرقد على الفراش
- لو اقتضى الأمر .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- ولكن من يدرى .. ربما انتهى كل شىء ، فى موعد الافطار ، عند اذان المغرب

قال الشاب فى عصبية :

- لماذا ؟ هل تنوى الانتحار فى ذلك الموعد ؟!

أجابه (قدرى) فى هدوء :

- الانتحار أمر غير وارد يا هذا ، فالمنتحرون إخوة للشيطان فى عقيدتى .. ولكن هذا لا يمنع أنه من المحتمل أن ينتهى كل شىء مبكرًا

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

- عندما يصل (أدهم) .

احتقن وجه الشاب فى شدة ، فى حين تحولت ابتسامة (قدرى) إلى ضحكة ..

ضحكة مجلجلة

واثقة ..

* * *

« مستحيل ! »

هتف (دافيد) بالكلمة فى ذهول ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، الذى بدا نسخة طبق الأصل من

رئيسه (جولدمان) ، على نحو لا يمكن أن تصفه الكلمات

فحتى بعد أن أدرك الحقيقة ، لم يجد (دافيد) لمحة واحدة ، توحى بأن الذى يقف أمامه ، فى حجرة معيشة منزله الخاص ، ليس (مائير جولدمان) ، رئيسه فى العمل ..

ثم فجأة ، تحول كل الذهول إلى غضب

غضب هادر ، جعله يثب نحو مسدسه ، صارخًا

- مستحيل !

وبسرعة مذهلة ، تحرك (أدهم) ..

كانت ثلاثة أمتار كاملة تفصله عن (دافيد) ، الذى لا يبعد عنه مسدسه سوى نصف المتر فحسب

لذا ، فقد وثب (دافيد) نحو مسدسه ، وكله ثقة فى أنه يستطيع بلوغه ، وإطلاق النار على (أدهم) ، قبل أن يقطع هذا الأخير منتصف المسافة ، التى تفصلهما عن بعضهما ..

ولكنه لم يكن قد بلغ مسدسه بعد ، عندما فوجئ بأصابع (أدهم) تلتقطه ، وبصوت هذا الأخير يقول ساخرًا :

- من الخطأ أن تلهو بالأسلحة النارية أيها الوغد

ثم انقضت قبضته كالمطرقة على فكه ، و(أدهم) يتابع بنفس السخرية :

- هذا يؤدى إلى مشكلات ليلية مخجلة

كانت اللكمة من القوة ، حتى إنها ألقت (دافيد) ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار فى قوة ، ثم يسقط أرضًا ..

ولكن (دافيد) أيضًا لم يكن رجلاً عاديًا

لقد كان بدوره رجل مخابرات ..

لذا فقد قفز واقفًا على قدميه ، على الرغم من عنف اللكمة ، وانقض على (أدهم) ، وهو يطلق صرخة غاضبة ..

وفى هذه المرة ، استقبله (أدهم) بلكمة ساحقة فى معدته ، وعندما انثنى من قوة اللكمة ، كال له (أدهم) أخرى كالصاعقة ، أطاحت به ، ليرتطم بالأريكة ، ويسقط معها فى عنف ..

وقبل أن ينهض (دافيد) من سقطته ، انغرست أصابع (أدهم) الفولاذية فى عنقه ، والتصقت فوهة مسدسه الباردة بصدغه ، واخترق صوت (أدهم) الصارم أذنيه ، وهو يسأله :

- أين (قدرى) أيها الوغد ؟!

سعل (دافيد) فى عصبية ، وبصق بعض الدم ، الذى تكون فى حلقه ، قبل أن يهتف فى عصبية ساخطة :

- هل تتصور أنك ستنجو من كل هذا ؟! هل تظن أن دخول الحمام كالخروج منه ، كما تقولون فى (مصر) ؟!

قال (أدهم) فى سخرية :

- هل كنت تتصور أنت أننى سأقبض على عنقك هنا ، فى حجرة معيشة منزلك ؟!

هتف (دافيد) فى غضب :

- كل شىء ممكن إلا أن تخرج من هنا سالمًا

قال (أدهم) بنفس السخرية :

- هل تراهن ؟!

أتاه صوت أنثوى ، يقول فى عصبية

- خسرت الرهان يا رجل .

استدار (أدهم) فى حركة سريعة ، إلى مصدر الصوت ، وتحفزت سبابته على زناد مسدسه ، وحاجباه ينعقدان فى شدة ..

فأمامه مباشرة ، وعلى مسافة خمسة أمتار ، كانت زوجة (دافيد) تقف ، مصوبة إليه مسدسًا كبيرًا ، وتطل من عينيها نظرة صارمة غاضبة شرسة ..

وفي صرامة ، أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

ـ اخفضي مسدسك يا سيدتي ، فلن يمكنك إصابتي بدقة ، في حين أن ..

قاطعه (دافيد) في سخرية عصبية :

ـ خطأ يا سيد (أدهم) .. خطأ .. يبدو أن تحرياتكم لم تكتمل بشأني .. فزوجتي ليست امرأة عادية .. إنها زميلة في (الموساد) .. زميلة من الفئة (أ) .

رمق (أدهم) الزوجة بنظرة حادة ، قبل أن يقول في صرامة :

ـ في هذه الحالة الأمر يختلف .

ثم تحركت يده في سرعة مذهلة ، لتطلق النار على مسدس الزوجة ، وهو يهتف مكملا :

ـ تمامًا .

أصابت رصاصته مسدس الزوجة مباشرة .

وأطاحت به في عنف ، جعلها تطلق شهقة مذعورة ، وتتراجع بحركة حادة ، لترتطم بالجدار ، في حين أطلق زوجها صرخة غاضبة ، ووثب نحو (أدهم) ، الذي استدار إليه في سرعة ، وهوى على وجهه بالمسدس ، فطاح به في قوة ، ليسقط فاقد الوعي ، في منتصف حجرة المعيشة ..

وصرخت الزوجة في شراسة :

ـ ستدفع ثمن ما فعلته .

ثم وثبت كنمرة شرسة ، وانشبت أظفارها الطويلة في وجه (أدهم) ، فمزقت قناع (جولدمان) الذي يرتديه ، وهو يهتف بها ، متفاديًا انقضاضتها :

ـ خطأ يا امرأة .

ثم دفعها بكل قوته ، مستطردًا :

ـ إنني أبغض الاشتباك مع امرأة .

صرخت مرة أخرى ، وهي تقفز نحوه .

ـ قاتل إذن كرجل .

تفادى انقضاضتها بحركة بالغة المرونة والخفة ، ثم دار حول نفسه دورة مدهشة ، وركلها بقدمه في منتصف ظهرها ، قائلا :

- هل يكفيك هذا ؟

كانت الركلة عنيفة ، حتى إنها دفعتها نحو الجدار ، لترتطم به في قوة ، وتطلق شهقة مكتومة ، ثم تسقط على ظهرها فاقدة الوعي ..

وفي هدوء ، تحرك (أدهم) في حجرة المعيشة ، مغمغمًا :

- من الواضح أنكما قد أفسدتما كل شيء .. طاقم الحراسة بأسفل سمع تلك الرصاصة حتمًا ، وسيهرع إلى هنا على الفور .

لم يكد ينتهي من عبارته ، حتى تعالى وقع أقدام ، في الممر خارج المنزل ، أعقبته طرقات قوية على الباب ، مصحوبة بصوت غليظ يهتف :

- أدون (بلو) .. لقد سمعنا تلك الرصاصة .. سنعد حتى ثلاثة ، ثم نقتحم المكان ، طبقًا للتعليمات .

والعجيب أن (أدهم) بدا شديد الهدوء ، على الرغم من هذا ، وانتزع قناع (جولدمان) ، ليلقيه إلى جوار (دافيد) ، وهو يقول :

- معذرة أيها الوغد .. أنا مضطر لمواجهة طاقم حراستك .

قتلها ، واتجه نحو الباب ، في خطوات واسعة سريعة ، ورئيس طاقم الحراسة يهتف :

- ثلاثة .. اثنان .. واحد ..

فتح (أدهم) الباب ، في تلك اللحظة ، وهو يقول في صرامة :

- ماذا هناك يا رجل ؟!

تراجع رئيس الطاقم في حركة سريعة ، وهو يحدق في وجهه ، قائلا :

- آه .. معذرة يا سيدي ، ولكننا سمعنا تلك الرصاصة ، و ...

قاطعه (أدهم) ، بصوت يماثل صوت (دافيد) تمامًا ، وهو يحمل وجه هذا الأخير ، الذي كان يرتديه تحت قناع (جولدمان) :

- إنه مجرد خطأ .. أدون (جولدمان) كان يفحص مسدسي ، فانطلقت منه تلك الرصاصة خطأ .

قال الرجل مرتبكًا :

- معذرة يا أدون (بلو) ، ولكنها التعليمات .

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

- لا بأس يا رجل .. لا بأس .. لقد أديتم واجبكم كما ينبغي .. هيا .. عودوا إلى مواقعكم .

اشرأب الرجل بعنقه ، وكأنما يحاول إلقاء نظرة داخل المنزل ، للتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام ، في نفس اللحظة التي هز فيها (دافيد) رأسه ، وهو يستعيد وعيه ، وأطلق آهة خافتة ، فقال (أدهم) في سرعة ، بصوت (دافيد) نفسه :

- ماذا تقول يا أدون (جولدمان) ؟! إنني لم أسمعك جيدًا .

قالها ، وغادر مكانه عند الباب ، وتحرك نحو (دافيد) بخطوات سريعة ، وهو يقول بصوت (جولدمان) :

- سألتك ماذا يريدون ؟ ألم تشرح لهم الأمر ؟!

ثم انحنى يهوى على فك (دافيد) بلكمة عنيفة ، أسقطته مرة أخرى فاقد الوعي ، وهو يكمل بصوته :

- بالتأكيد يا أدون (جولدمان) . لقد قاموا بواجبهم كما ينبغي ، وسيعودون إلى مواقعهم على الفور

كان ينتقل بين الصوتين بسرعة ومرونة مذهلتين ، حتى إن رئيس طاقم الحراسة في الخارج تصور أنه حديث بين (دافيد) و(جولدمان) ، فاعتدل مغمغمًا

- معذرة يا أدون (بلو) . لقد كنا نؤدي واجبنا فحسب .

قالها الرجل ، وأغلق الباب في سرعة ، وهو يعود إلى موقعه مع رجاله ، فابتسم (أدهم) في سخرية ، مغمغمًا :

- يا لكم من أغبياء ! كان من الضروري أن تكون هناك كلمة سر ، يمكن تداولها ، في مثل هذه الظروف

ثم اتجه إلى حجرة مكتب (دافيد) ، وراح يفحص أوراقه في اهتمام ، وهو يتابع :

- ترى ما نوع جهاز الكمبيوتر الجديد ، الذي يستخدمه ذلك الوغد ، لاستنتاج خطواتي التالية ؟!

وتسللت ابتسامة ساخرة إلى ركن شفتيه ، وهو يتمتم :

- من الواضح أنه كمبيوتر عبقري بحق ، ولكنها ليست المرة الأولى ، التي أخوض فيها مثل هذه التجربة(*)

ثم هز رأسه ، متابعًا :

- الحق يقال إن هذا الكمبيوتر يفوق سابقه بألف مرة ؛ فهو يفكر كما لو كان رجل مخابرات محترفًا

لم يدر ، وهو يتمتم بهذه الكلمات ، ويقلب في أوراق (دافيد بلو) ، أن زوجة هذا الأخير قد

(*) راجع قصة (الصراع الشيطاني) المغامرة رقم (٢٩)

استعادت وعيها . وأنها فى هذه اللحظة بالذات ،
تتحرك فى حذر بالغ ، لتستعيد مسدسها ، أو أنها قد
استعادته بالفعل ، ها هى ذى تستعد لتصويبه إليه
ولتطلق عليه النار من الخلف .
فى مؤخرة رأسه ..
مباشرة ..

* * *

اعتصرت قبضة باردة قلب (جولدمان) ، وهو يرقد
فى فراشه ، الملحق بمكتبه ، فى (البيت الكبير) ، وتصاعدت
موجة من الغضب فى كيانه كله ، مكونًا غصة مريرة
فى حلقه ، جعلته ينهض مغمغما فى صوت متحشرج
ـ اللعنة !
غادر فراشه فى سخط مكتوم ، بعد أن عجز عن
النوم ، وغادر الحجرة كلها إلى حجرة مكتبه ، وأشعل
سيجارة ، وراح ينفث دخانها فى عصبية زائدة ، قبل
أن يقول لنفسه فى حدة وحنق :
ـ مستحيل ! لا يمكن أن يكون قد وصل إلى (تل
أبيب) بهذه البساطة ! لقد أشرفت على كل شىء
بنفسى .. الجميع خضعوا للتفتيش بلا استثناء ،
ولا أحد دون الدخول عنوة .. مستحيل !

ألقى جسده على المقعد الكبير خلف مكتبه ، وراح
يديره يمنة ويسارا ، وهو يشبك أصابع كفيه أمامه ،
ويحاول اعتصار عقله ، للبحث عن تفسير منطقى
للأمر ، ثم لم يلبث أن أطلق زفرة ملتهبة ، متمتمًا :
ـ لا بد أن نعترف بأنه شيطان فى مضمارنا
لكن من العسير عليه أن يعترف بهذه الحقيقة ، فى
الظروف الحالية ..
وخاصة بعد أن أصبح (أدهم) داخل (تل أبيب)
بالفعل
ومرة أخرى ، تصاعدت تلك الغصة المريرة إلى
حلقه ، وهو ينهض ليقف أمام نافذة مكتبه ، وينفث
دخان سيجارته فى قوة ، محاولا استعادة كل ما حدث ،
بأقصى قدر ممكن من الهدوء ..
كانت بالنسبة إليه ، فضيحة لا تغتفر ، أن ينجح
رجل مخابرات مضاد ، فى اقتحام نطاق أمنى محكم ،
يشرف عليه قسم العمليات الخاصة فى (الموساد) ،
تحت رعايته هو شخصيا ، على الرغم من كل ما تم
اتخاذه من إجراءات أمن محكمة .
ومن حسن حظه أن الأمر لم يبلغ رؤساءه بعد .
لا أحد يعلم بما حدث ، حتى هذه اللحظة ، سواه
و(دافيد بلو) ..

وذلك الكمبيوتر اللعين .
وهو لا يثق أبدا بتلك الأجهزة الحديثة المعقدة
ربما يثق به كأدوات معاونة ، أو وسائل لتحقيق الرفاهية والراحة ..
أو حتى كمخازن ذاكرة عملاقة ..
ولكن ليس كعقول مفكرة ..
ثم إن ملفات (أدهم صبرى) لديه تؤكد أنه قد خاض بالفعل تجربة مماثلة ، منذ عدة سنوات ، انتهت بهزيمة الكمبيوتر الساحقة ، أمام عقلية (أدهم) المتطورة المتجددة ..
صحيح أن أجهزة الكمبيوتر قد تطورت كثيرا ، منذ ذلك الحين ، على نحو مذهل ، إلا أن هذا لا يعنى بالضرورة ان الكمبيوتر يمكنه أن يهزم عقلاً بشرياً ، فى مناورة للحنكة والذكاء ..
على الرغم من أنه هناك سابقة لذلك(*)
ولكن لا ..

(*) فى نهاية ١٩٩٧م أقيمت مباراة بين (جارى كسباروف) بطل العالم فى الشطرنج للمحترفين ، وكمبيوتر من جيل الذكاء الصناعى (سوبر كمبيوتر) ، من خلال برنامج يعرف باسم (Deep Blue) ، وانتهت المباراة بهزيمة (كسباروف) أمام خصمه الإليكترونى .

فى عالمهم بالذات ، لا يمكن ان تحل اجهزة الكمبيوتر محل البشر ..
لا يمكن أبدًا ..
ربما يؤمن الجيل الجديد ، من أمثال (دافيد بنو) بهذا ، بحكم تكوينهم ودراستهم ، والظروف التى نشئوا فيها ، وتآلفهم مع تلك التكنولوجيا الحديثة
أما جيله ، وجيل (أدهم صبرى) ، فلديه فكرة مختلفة تماما
- إنهم يحترمون التطور والتكنولوجيا ، ويؤمنون بأنه من غير المجدى التصدى لهما ، أو الوقوف فى وجهيهما ..
ولكنهم ما زالوا يمنحون القدر الاكبر من احترامهم للعقول البشرية ..
والخبرات الإنسانية ..
لذا ، فهو لن يخضع لقواعد ذلك العبقرى الإليكترونى ، الذى تؤمن به الادارة الجديدة ، وتمنحه كل ثقتها واهتمامها ..
وسيقاتل بعقله
وخبرته ..
وحماسه

وحدسه ..

تمامًا كالأيام الخوالي ..

قبل أن تسيطر تلك التكنولوجيا ..

امتلأت نفسه بالحماس ، مع حسمه لهذا الأمر ، فضغط زر الاتصال الداخلي على مكتبه ، وقال لمعاونه

- أريد قدحا من القهوة المركزة ، وأحدث خريطة لدينا لـ (تل أبيب) .

ثم أنهى ذلك الاتصال الداخلي ، والتقط سماعة هاتفه ، وأدار رقم منزل (دافيد) ، وراح يستمع إلى الرنين بضع لحظات ، قبل أن يأتيه صوت (دافيد) ، قائلا :

- (دافيد بلو) .. من المتحدث ؟!

قال في حماس :

- صباح الخير يا (دافيد) .. أنا (ماير جولدمان) أراهن على أنك مثلي ، لم تستطع النوم

أدهشه أن بدا صوت (دافيد) حيويًا صافيًا ، ممتزجًا برنة ساخرة ، وهو يجيب :

- بالطبع يا دون (جولدمان) .. من يمكنه النوم ، بعد ليلة كهذه .

قال في اهتمام ، مزيحا دهشته جانبًا :

- كل شيء سيتغير يا (دافيد) .. لقد قررت أن أتولى الأمر بالطرق القديمة ، دون الخضوع لذلك العبقري الاليكتروني ، الذي تهيم به

مرة أخرى بدا له صوت (دافيد) صافيا ، هادئا ، تسبح فيه لمحة من السخرية ، وهو يجيبه

- الطرق القديمة لها سحرها حتما ، ولكن هذا لا يمنع من أن الكمبيوتر الجديد عبقري بالفعل ، وأنه

قبل أن يتم عبارته ، نقلت أسلاك الهاتف ، إلى أذن (جولدمان) ، دوي رصاصة ، انطلقت في منزل (دافيد) ، ثم صوت سقوط سماعة الهاتف ، وارتطامها بالأرض ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، أدرك (جولدمان) أن شيئا ما يحدث في منزل (دافيد) ..

شيء غريب ..

وخطير ..

للغاية

* * *

٩ـ الحصـار ..

تراجع مدير المخابرات المصرى فى مقعده ، وهو يطالع آخر التقارير ، التى وصلته من (أوروبا) ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

ـ عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .

قال مساعده فى اهتمام :

ـ السيد (مجد) والسيد (أيمن) سيصلان إلى (إسرائيل) فى موعدهم بإذن الله .. أليس كذلك ؟!

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بلى .. الخطة تسير وفقًا للجدول ، حتى هذه اللحظة ، دعنا ندعو الله (سبحانه وتعالى) أن تواصل نجاحها على طول الخط .

تمتم المساعد :

ـ بإذن الله (العلى القدير) .

ثم سأل فى اهتمام :

ـ ولكن هناك أمرًا يحيرنى يا سيدى .

تساءل المدير :

ـ ما هو ؟!

اعتدل قائلاً :

ـ ما دام (مجد) و(أيمن) يحملان الجنسية الأمريكية ، باسمين أمريكيين تمامًا ، فلماذا يقطعان كل هذه الرحلة ، بدلاً من الذهاب إلى (تل أبيب) مباشرة ؟!

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ هناك سببان رئيسيان لهذا ، أولهما أن يفلتا من أية مراقبة ، يكونان قد خضعا لها ، لسبب أو لآخر ، وثانيهما أن يصلا إلى (تل أبيب) ، بعد رحلة طويلة فى (أوروبا) ، كأى سائحين أمريكيين بسيطين ، بعد وصول (أدهم) بفترة ما ، بحيث لا تحيط بهما أدنى الشكوك .

ولوّح بيده مستطردًا :

ـ هذا أساس الخطة كما تعلم .

ابتسم المساعد بدوره ، قائلاً :

ـ بالطبع .

ثم أضاف ، فى شىء من الحذر :

ـ أعتقد أننا سنثير جنونهم هذه المرة .

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ لقد اعتادوا هذا .

ثم مال الى الامام ، متابعا فى قلق مبالغ

ـ ولكن الامر ليس هينا على الاطلاق انه أشبه بأن يلقى المرء نفسه عمدا ، وسط اتون مشتعل ، لمجرد العبث بأعصاب خصمه ، واثارة جنونه

قال مساعده فى سرعة :

ـ هذا ليس الهدف الفعلى يا سيدى .

ـأشار المدير بيده ، وهو يقول :

ـ ولكنه ما يفعله (ن ـ ١) .

ثم شرد بصره بضع لحظات ، قبل أن يغمغم فى توتر ملحوظ :

ـ والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم كيف ينتهى هذا !

وكان على حق فى قوله هذا ..

ففى تلك اللحظة بالذات ، وبينما نطق عبارته ، كان (أدهم) يواجه الخطر ..

خطر الموت ..

* * *

انهمك (ادهم) فى فحص اوراق (دافيد) ، حتى انه لم يشعر بما حوله ، وزوجة هذا الاخير تلتقط مسدسها فى حرص وحذر ، وتصوبه اليه ، و

وفجأة ، ارتفع رنين الهاتف ..

ودون أدنى تردد ، التقط (ادهم) سماعته ، وانتحل صوت (دافيد) وأسلوبه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ (دافيد بلو) .. من المتحدث ؟!

اتسعت عينا زوجة (دافيد) فى ذهول ، وتجمدت يدها الممسكة بالمسدس ، وهى تحدق فى (أدهم) ، الذى انتحل صوت ولهجة زوجها ، بهذه الدقة المذهلة ، وأدهشها أن اكتسب صوته رنة ساخرة ، وهو يقول

ـ بالطبع يا أدون (جولدمان) من يمكنه النوم ، بعد ليلة كهذه .

انتفض شىء ما فى كيانها ، وهى تتمتم بصوت لم يسمعه سواها :

ـ يا للشيطان !

واستعدت غضبها وصرامتها ، متجاوزة ذهولها وذعرها ، وصوبت مسدسها مرة أخرى الى مؤخرة رأس (أدهم) فى إحكام ، وهو يقول عبر الهاتف

ثم أمسك معصمها بأصابع فولاذية ، ولواه بحركة سريعة ، ليجبرها على إفلات المسدس ..

- الطرق القديمة لها سحرها حتما ، ولكن هذا لا يمنع من أن الكمبيوتر الجديد عبقرى بالفعل ، وأنه ..

قبل أن يتم عبارته ، لمح بغتة ، على السطح اللامع للهاتف ، انعكاس صورة الزوجة ، التى تصوب إليه مسدسها ، و ...

وبحركة سريعة ، ألقى (أدهم) سماعة الهاتف ، ووثب جانبا ، فى نفس اللحظة التى أطلقت فيها الزوجة رصاصتها ، التى تجاوزت (أدهم) ، وارتطمت بلوحة ثمينة على الجدار ، وحطمتها بدوى مكتوم ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أدهم) نحوها ، قائلا :

- أخطأت الهدف يا سيدتى .

ثم أمسك معصمها بأصابع فولاذية ، ولواه بحركة سريعة ، ليجبرها على إفلات المسدس ، مستطردا :

- إننى أبغض دائما الاشتباك مع النساء

أطلقت شهقة قوية ، وهو يحملها كطفل صغير ، ثم يدفعها نحو الجدار ، مضيفا فى صرامة شديدة

- ولكننى أستثنى نساء الموساد .

ارتطم رأسه بالجدار في عنف، وتأوهت في شدة، ولكنه عاد يدفعها نحوه ثانية، مكملا:

- لأنهن نسين أنهن نساء.

فقدت وعيها هذه المرة، من شدة الضربة، وسقط رأسها على صدرها، فحملها في يسر، ووضعها إلى جوار زوجها، متمتمًا في ضيق:

- عجبا! لست أشعر بالفخر على الإطلاق

وفي اهتمام، استدار يتطلع إلى سماعة الهاتف، الملقاة أرضا، والتي ينبعث منها صوت (جولدمان)، الذي يهتف:

- (دافيد) ماذا يحدث عندك يا (دافيد)؟

اتجه (أدهم) في هدوء إلى سماعة الهاتف، والتقطها، قائلا:

- معذرة يا (دوف) (جولدمان) إنها زوجتي كانت تنظف المسدس فانطلقت منه رصاصة أنت تعرف النساء وفضولهن.

انعقد حاجبا (جولدمان) وهو يقول في حذر

- بالتأكيد يا (دافيد).. بالتأكيد.

ثم اعتدل في مقعده، متابعًا:

- المهم أنني أريدك في مكتبي، خلال نصف الساعة على الأكثر لدي أمر مهم، أرغب في مناقشتك بشأنه.

أجابه (أدهم) في هدوء:

- سأحضر على الفور.

قالها، وكاد ينهي المحادثة، لولا أن هتف (جولدمان):

- أبلغ تحياتي لزوجتك (استر)، وقل لها إن العبث بالأسلحة النارية أمر غير مأمون العواقب

أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة مصطنعة، وهو يتمتم

- سأبلغها بالتأكيد.

ثم أنهى المحادثة، مستطردًا:

- من الواضح أن الأمور قد تعقّدت كثيرا، فالرصاصة الثانية ستثير طاقم الحراسة حتما، وسيكون التفسير عسيرًا هذه المرة.

لم يكد يتم عبارته، حتى تعالى وقع الأقدام، التي تهرع إلى المكان، ثم ارتفع صوت الدقات القوية على باب الشقة، مصحوبا بصوت رئيس طاقم الحراسة، وهو يتمتم:

- دون (سو) ... الامر هذه المرة ؟!

هتف (أدهم) ، وهو يلتقط مسدس (دافيد) ، ويدسه في حزام ، اسفل سترته

- إنه خطئي أنا هذه المرة يا رجل .

ثم اتجه نحو الباب في هدوء ، وفتحه وهو يرسم على شفتيه ابتسامة كبيرة ، مستطردا :

- اعلم انه ليس من المنطقي ان يحدث هذا مرتين ، في ساعة واحدة ، ولكن هذا نفعل القدر وتصاريفه

اشرأب الرجل بعنقه ، محاولا مرة أخرى التطلع داخل الشقة ، من خلف كتفي (أدهم) ، الذي أشار بيده ، قائلا

- هل ترغب في التأكد بنفسك ؟!

صمت رئيس طاقم الحراسة لحظة ، وهو يتطلع اليه في اهتمام ، قبل ان يقول

- عفوا يا دون (بلو) مهمتنا هنا هي حمايتك وحراستك ، وليس التدخل في أمورك الشخصية

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

- بالتأكيد

ثم القى نظرة على ساعته ، مستطردا

- وعلى أية حال ، أنا في طريقي الى العمل ، و

قاطعه رئيس الطاقم في حزم ، وهو يشير بيده في صرامة ، قائلاً :

- معذرة يا دون (بلو) ، ولكن لن يمكنك الخروج من هنا الآن .

ومع قوله ، رفع الجنود الاربعة خلفه مدافعهم الآلية

وكان هذا يعني ان المواجهة صارت حتمية للغاية

* * *

قاوم (قدري) شعوره العنيف بالجوع ، وهو يستخدم حلية حزامه المعدنية ، لينزع بعض أجزاء طلاء الجدار ، ثم جمع ما حصل عليه في حرص داخل محفظة ورقية صغيرة ، صنعها من منشفة قديمة ، وأخفاه في جيبه ، وهو يتمتم :

- عظيم ... بضع خامات أخرى ، والقن هؤلاء الاوغاد درسا ، فيم تعنيه هذه الاصابع الذهبية ، التي يسعون خلفها

كانت رائحة الطعام ، الذي وضعوه خارج حجرته ،

تتسلل إليه طوال الوقت، على نحو جعل معدته تتقلص. وتهتف مطالبة بوجبة دسمة. فاستطرد ساخطا:

- وعندئذ سألتهمهم التهامًا.

تحسس جيبه في اهتمام، وتأكد من وجود عدة محافظ ممتلئة فيه، قبل أن يلتقط نفسا عميقا، مشبع برائحة الطعام الشهي. ويهتف:

- أيها الأوغاد.

لم يكد ينهي هتافه، حتى انفتح باب حجرته، ودلف منه ذلك الشاب الإسرائيلي، الذي أغلق الباب خلفه. وهو يقول بلهجة عجيبة، حملت رائحة الشماتة:

- كيف حالك يا سيد (قدرى)؟! ترى أما زلت صائمًا عن الطعام ؟!

أشاح (قدرى) بوجهه عنه. وهو يقول

- الصيام عندنا ينتهي مع مغيب الشمس

هزّ الشاب كتفيه، قائلاً:

- هذا شأنكم.

ثم جلس على المقعد الوحيد في الحجرة، مستطردا:

- اعذرني يا سيد (قدرى)، فقد فاتني أن أقدم نفسي، عند لقائنا الأول.. أنا (أفرام يا هو) ضابط بالمخابرات الإسرائيلية (الموساد)، ومن المؤكد أن لديكم في (مصر) ملفا كاملا عني.. هذا لأنني لست ضابطا عاديا هنا.. إنني ضابط متخصص.

ومال إلى الأمام، مضيفًا بلهجة صارمة

- في انتزاع المعلومات.

ازدرد (قدرى) لعابه في صعوبة، وهو يتطلع إليه في صمت، دون أن ينبس ببنت شفة، فقد كان يدرك جيدا ما تعنيه هذه العبارة

وبالذات بالنسبة للإسرائيليين.

صحيح أن موقعه لا يتيح له الاطلاع على صور أو ملفات أشخاص مثل (يا هو) هذا، إلا أنه شاهد الكثير من الصور، لمن تعرضوا لعملية انتزاع المعلومات، على يد عدد من الإسرائيليين، الذين تخصصوا في هذه المهمة القذرة

ويا لها من بشاعة.

لقد تمزق كيانه كله، وهو يطالع تلك الصور

ولم ينسها قط ..

بل ولم يخطر بباله أبدا ان يكون احد الذين يواجهون ذلك الجحيم ..

اما (أفرام بـهو) ، فقد بدا شامتا متلذذا ، وهو يقول :

- وصدقنى يا سيد (قدرى) لقد تركت الطعام خارج حجرتك ، وخلفه مروحة صغيرة ، كل مهمتها ان تدفع الرائحة إلى انفك باستمرار ، وانا أتمنى أن تفلح هذه الطريقة ، فى دفعك الى منحنا ما نشاء من معلومات .

ثم اشار إليه بسبابته ، مستطردا فى صرامة .

- من أجلك .. لا من أجلنا .

وهبَّ واقفًا بحركة حدة ، وهو يضيف

- لأنه إذا لم ينته الامر هنا ، فسنضطر للانتقال حتمًا ، إلى الخطوة التالية .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مكملاً :

- ثم الى خطوات تالية ، لم يحتملها اقوى الأقوياء من قبل .

تمتم (قدرى) بصوت مرتجف :

- أعلم أنكم وحوش .

لوَّح (باهو) بيده ، قائلاً :

- المعرفة شىء ، والتجربة شىء اخر تماما يا سيد (قدرى) كلنا نعلم ان الاسود تلتهم البعض ، ولكن عندما نجد أنفسنا رهن أنيابهم ومخالبهم ، فالأمر يختلف كثيرًا .

قال (قدرى) فى غضب :

- ربما كان الوضع هنا اشبه بالفئران ، منه بالأسود .

ظهر الغضب على وجه (باهو) لحظة ، ثم تلاشى فى سرعة خلف صرامته ، وهو يقول :

- أسود أو فئران لا يهم ، فالانياب تؤلم دائما

هتف (قدرى) فى عصبية :

- لو أنكم تتصورون اننى لن أحتمل الجوع ، فأنتم

قاطعه (باهو) فى صرامة :

- احتمال الجوع لم يعد يعنينا يا سيد (قدرى) ، فلا وقت لدينا لتجربة نتائجه ، لذا فقد قررنا الانتقال إلى مرحلة أخرى .

ازدرد (قدرى) لعابه مرة أخرى فى صعوبة ، و(باهو) يتابع بنفس الصرامة :

- ولو ان الامر بيدى ، لانتقلت فورا الى المرحلة الرابعة ، التى لم تفشل فى انتزاع اعتراف قط

وتألقت عيناه ببريق وحشى ، وهو يكمل

- فحتى اشجع الشجعان يصاب برعب هائل ، عندما يرى احد أطرافه امامه ، والدماء تسيل من نهايتها المبتورة

انتفض جسد (قدرى) فى رعب هائل ، وهو يهتف

- أيها الوحوش .. أيها الأوغاد !

قهقه (ياهو) ضاحكا فى استمتاع متلذذ ، وكأنما يروق له ما سببه لـ (قدرى) من رعب ، ثم لوح بذراعه كلها ، قائلا :

- اطمئن يا سيد (قدرى) .. لن نبلغ هذه المرحلة بالتأكيد .. فى الوقت الحالى على الأقل ، فالرؤساء ما زالوا يحتاجون الى اطرافك .. والى أصابعك الذهبية على الأقل .

ثم عاد حاجباه ينعقدان فى صرامة ، مستطردا

- ولكن هذا لا يعنى ان نسمح لك بالسخرية منا

كان (قدرى) يشعر بخوف شديد فى اعماقه ، الا انه بذل قصارى جهده لمقاومته ، وهو يقول

- اسمع يا هذا .. بالنسبة للمعلومات ..

قاطعه (ياهو) فى صرامة :

- لن نطالبك بها يا سيد (قدرى) .

وبرقت عيناه ببريق وحشى ، وهو يضيف

- ستقدمها أنت طواعية .

قالها ، وفتح باب الحجرة ، فاندفع عبره ثلاثة رجال ، راحوا يحملون كل شىء بالحجرة الى الخارج ، فى ايقاع سريع ، و(ياهو) يبتسم ، قائلا فى شماتة

- التطوير الجديد يا سيد (قدرى) ، هو ان تفقد كل شىء ، ما دمت ترغب فى الاحتفاظ بالمعلومات داخلك ، فمنذ هذه اللحظة لا أثاث ، أو طعام ، او حتى إضاءة ، الا بعد أن تبدى استعدادك للتعاون معنا .

هتف (قدرى) :

- ايها الاوغاد .. سينتهى كل هذا ، عندما

قاطعه (ياهو) بضحكة ساخرة هذه المرة ، وهو يقول :

- رويدك يا سيد (قدرى) ، ولا تتماد بأحلامك ، او تقفز بآمالك بعيدا ، فصديقك المعجزة ، الذى تبنى

مستقبلك كله على اساسه ، قد انكشف امره ، دون ان يدرى ، وما هى الا دقـائق معدودة ، حتى يصبح فى قبضتنا ..

ثم مال نحوه بشدة ، مستطردًا :

ـ جثة هامدة .

نطقها ، وتراجع مقهقهًا فى ظفر شمت ساخر ، فى حين هوى قلب (قدرى) بين قدميه فى عنف ، وراح يخفق بسؤال مذعور ...

ترى ما الذى يعنيه ذلك الإسرائيلى بقوله هذا ؟!

وما الذى يواجهه (أدهم) الآن ؟!

أى خطر ، يمكن ان يلقيه فى قبضة هؤلاء الشياطين ؟!

أى خطر ؟!

أى خطر ؟!

* * *

قهقه (اديب الريس) ضاحكًا ، وهو يندفع بسيارته الصغيرة إلى ساحة المصنع الكبير ، الذى يعمل فيه ، ولوح بيده على نحو مبتذل ، وهو يهتف :

ـ صباح الخير يا رجال .. يوم جديد وحظ جديد أليس كذلك ؟

رمقه الجميع بنظرات صامتة ، تحمل الكثير من الضيق والازدراء ، فدفع باب السيارة بقدمه ، وهبط منها ، هتف بصوته الاجش الخشن :

ـ هل أصابكم الصمم جميعًا ؟! اننى ألقى عليكم التحية !

حاول معظمهم تجاهله احتقارًا ، فى حين هتف أحدهم فى حدة :

ـ انصرف يا (اديب) .. فنحمد الله لأننا لا نستقبلك بالسباب كل صباح .

ارتفع حاجباه فى دهشة مصطنعة ، قائلاً :

ـ السباب ؟! ولماذا يا صديقى ؟! اننى لا أوذى أحدكم قط .. ألا تذكر أنت بالذات أنى لم أسجل غيابك ، يوم مرضت أمك ، و ...

هتف به الرجل فى سخط :

ـ لا تحاول إقناعنا بأنك رجل شهم

قهقه (أديب) ضاحكًا مرة أخرى ، بنفس الأسلوب المستفز ، قبل أن يقول :

- شهم !! ومن ذا الذي يسعى لتظهور بمظهر الشهم !! لقد تركت لكم هذه البطولة يا رجل ، مكتفيا بما احصل عليه من راتب ضخم ، كرئيس عمال

اندفع آخر ، يقول في حدة :

- لا تنس راتبك من (أمان) .

عقد (اديب) حاجبيه لحظة ، ثم لم يلبث ان هز كتفيه ، قائلا بابتسامة كبيرة :

- إنه لا يكاد يكفي شرابي .

لم يستطع احدهم تمالك نفسه ، فبصق نحوه ، هاتفا :

- أيها الـ ....

أمسكه زميله ، قبل ان يتم عبارته ، وقال في مقت :

- رويدك يا رجل .. لا تمنحه فرصة تحويلك إلى قربان ، يقدمه لأسياده .

قال (إديب) في سخرية :

- وهل سبق لي أن فعلتها .

أجابه آخر :

- إنها مسألة وقت فحسب .

قهقه (اديب) ضحكا مرة اخرى ، وهو يشعل سيجارته ، ليحرق معها تلك النيران ، التي تشتعل في أعماقه ، كلما لعب دور الخائن القذر ..

كانت شفتاه تضحكان ، وقلبه يدمى اسى ومرارة

كم يؤلمه ان يتصور الجميع انه صديق العدو

عميل ..

خائن

حقير ..

ولكن من الضروري أن يحتمل ..

وأن يواصل لعب دوره ..

من أجل فلسطين ..

ومن أجلهم ..

من اجل هؤلاء ، الذين يسبونه ، ويبصقون عليه ، ويشيعونه بنظرات المقت والاحتقار كل صباح

من أجل أن يستعيدوا يوما ارضهم

وتاريخهم ..

وكرامتهم ..

من أجل هذا لا بد أن يحتمل ..

ويجاهد ..

ويواصل طريقه ..
« (أديب) .. تعال .. »
هتف صاحب المصنع الإسرائيلى بالعبارة ، فالتفت إليه (أديب) ، فى حماس مصطنع ، وألقى سيجارته جانبًا ، وهو يصيح :
- نعم يا أدون (كوهين) .
أشار إليه الرجل من نافذة مكتبه ، وهو يقول :
- لدى هنا مقدم إسرائيلية ، تريد مقابلتك
انعقد حاجبا (اديب) فى شدة ، وهو يقول
- أنا رهن إشارتك وإشارتها يا سيدى
وانطلق بنفس الحماس المصطنع . إلى مبنى الإدارة ، وفريق العمال الفلسطينيين يشيعونه بنظراتهم فى مقت وازدراء ، وأحدهم يغمغم
- لم يكتفوا بما ينقله إليهم ، فأتوا خلفه إلى هنا
أما (أديب) نفسه ، فقد ظل يتساءل فى قلق عما يعنيه هذا ، حتى بلغ حجرة المدير ، وتطلع فى حذر إلى (راشيل) ، فى زيها العسكرى ، والمدير يشير إليه ، قائلا :
- ها هو ذا (أديب الريس) أيتها المقدم

رسم (اديب) على شفتيه تلك الابتسامة السخيفة ، وهو يقول :
- صباح الخير أيتها المقدم   (اديب الريس) فى خدمتك .
تجاهلته (راشيل) تمامًا ، وهى تشير إلى المدير فى صرامة ، قائلة :
- اتركنا وحدنا .
اندفع الرجل ينفذ أمرها ، وهو يقول مرتبكًا
- كما تأمرين يا سيدتى   كما تأمرين
غادر المكان ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، فالتفتت هى إلى (أديب) ، وسألته فى لهفة واهتمام
- أين ذهب الرجل ؟!
وثب الحذر إلى كل خلية من خلايا (اديب) ، وهو يتساءل :
- أى رجل ؟!
اقتربت منه ، وهى تسأله فى صرامة
- المصرى   رجل المخابرات   اين هو ؟
تحول حذره إلى توتر بلا حدود ، وهو يقول :

- رجل مخابرات مصرى ؟! أى قول هذا أيتها المقدم .. إننى مجرد

صاحت به فى حدة :

- لا تحاور أو تناور يا رجل .. أنا أعرف كل شىء

انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

- سيدتى .. لست أدرى ما الذى ...

قاطعته فى عصبية صارمة :

- صقر (قريش) يحلق فى سماء العرب

اتسعت عيناه عن آخرهما ، عندما سمع تلك العبارة ، التى يحفظها عن ظهر قلب ، وحدق فى وجهها ، هاتفا :

- يا إلهى ! أأنت ..

هتفت ، مقاطعة :

- نعم يا رجل .. كلانا يعمل فى معسكر واحد

اعتدلت قامته فجأة ، وتغيرت ملامحه على نحو عجيب ، لتكتسب رصانة صارمة ، وهو يسألها :

- ما الذى تريدينه من (أدهم) ؟

أجابته فى توتر :

- أنا التى التقطته عند جبل (الخليل) أمس ، وآخر

ما أعلمه عنه هو أنه قد استولى على هليوكوبتر مقاتلة . ولقد علمت منذ يومين ، أنك ستكون المسئول عن إدخاله (تل أبيب) ، ولكن المطلوب منى حمايتكما معا ، حتى يتم هذا . ولأن الأمور لم تسر وفقا للخطة ، فقد أردت الاطمئنان على أن كل شىء على ما يرام .

أجابها (أديب) فى هدوء رصين :

- اطمئنى .

سألته فى لهفة :

- أهو فى (تل أبيب) بالفعل ؟!

أومأ برأسه إيجابا ، وقال فى حزم مقتضب :

- اطمئنى

كانت تدرك عدم جدوى المطالبة بمعرفة المزيد ، وفقا للقاعدة الأولى فى عالم المخابرات .. « المعرفة بقدر الحاجة .. » لذا فقد انتفضت أنفاسها ، وقالت :

- حمدا لله .. حمدا لله ..

ثم ابتسمت ابتسامة باهتة ، مستطردة :

- أبلغه تحياتى لو رأيته .

أومأ (أديب) برأسه ، قائلاً فى رصانة :

- سأفعل بإذن الله .

أومأت برأسها ، ثم اتجهت نحو الباب ، وفتحته ، وهى ترفع صوتها ، قائلة :

ـ فليكن يا رئيس العمال .. ابحث عما طلبته منك ، وأبلغنى عندما تجده ..

تلاشت رصانة (أديب) بسرعة مدهشة ، وهو يقول بصوته الخشن ، وأسلوبه المبتذل :

ـ بالطبع أيتها المقدّم .. بالطبع .

وخرج خلفها ، مطلقًا ضحكته العالية ، ومستطردًا ، وهو يصفق بكفيه على نحو فج :

ـ أنا رهن إشارة الجمال الأشقر .

تبعه مدير المصنع ببصره ، حتى اختفى فى نهاية الممر ، ثم عاد إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، قبل أن يلتقط سمّاعة هاتفه ، ويطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قال :

ـ صباح الخير يا أدون (ماروسكى) .. كيف حالك ؟! أنا (كوهين) .. خادمك (كوهين) .

ثم خفض صوته ، مضيفًا فى اهتمام :

ـ كنت قد طلبت منى أن أبلغك بكل ما يثير فضولى ، فى هذه المنطقة .. حسن .. أعتقد أن لدى أمرًا ما .

وراح ينقل إليه ما حدث ، دون أن يدرى أنه بتقريره هذا قد أشعل زاوية جديدة للأمور ..

زاوية خطيرة ..

ومخيفة ..

* * *

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، عندما منعه رئيس طاقم الحراسة من الخروج ، وقال فى حدة ، دون أن يفقد صوت (دافيد) ولهجته :

ـ كيف تجرؤ يا رجل ؟! ألا تعرف من أنا ؟!

أجابه الرجل فى توتر :

ـ أعلم يا أدون (دافيد) ، ولكننى أنفذ أوامرك وأوامر الإدارة ... لا بد من إجراء مراجعة تامة لكل نظم الأمن ، فى التاسعة صباحًا ومنتصف الليل ، دون أن يغادر أى مخلوق المكان ، إلا بعد انتهاء المراجعة .

تصاعدت شكوك عديدة فى أعماق (أدهم) ، وهمّ بالاعتراض على الموقف ، إلا أنه خشى أن يفسد اعتراضه الأمور ، فقال متظاهرًا بالعصبية :

ـ وكم سيستغرق الأمر هذه المرة ؟! إننى على عجلة من أمرى .

ارتفع حاجبا رئيس الطاقم فى دهشة ، وهو يقول :

- وهل ستترك أدون (جولدمان) هنا ؟!

انتبه (أدهم) فجأة إلى هذا الأمر ، فلوّح بيده ، قائلاً :

- كلا بالطبع .. إننا سننصرف معًا يا رجل ، بعد أن تنتهوا من مراجعة نظم الأمن ..

قال رئيس الطاقم فى اهتمام :

- سنبذل قصارى جهدنا ، حتى ينتهى الأمر بأسرع ما يمكن يا أدون (بلو) .

قال (أدهم) ، وهو يغلق الباب :

- أتعشّم هذا .

ولم يكد يغلق الباب ، حتى تحرك فى سرعة ، وهو يتمتم :

- يبدو أن العبث لم ينته لصالحك هذه المرة يا (أدهم) .. عليك أن تبحث عن مخرج من هنا ، قبل أن تتعقد الأمور أكثر .

كان المنزل مصممًا على نحو خاص ، بحيث لا يمكن أن يدخله أو يغادره أحد ، دون أن يمرّ بطاقم الحراسة ..

لا يوجد باب خلفى ..

النوافذ والشرفات كلها تطلّ على الطريق الرئيسى ،

الذى يقف فيه فريق مسلح متحفز ، من رجال القوات الخاصة الإسرائيلية ..

المطبخ يعتمد على نظام تهوية وتجديد هواء خاص ، من خلال فتحات صغيرة دقيقة ، تنتشر فى سقفه ..

وحدات تكييف الهواء كلها انفصالية (سبليت) ، دون ممرات تهوية مركزية ، أو فتحات للملابس غير النظيفة أو القمامة ..

باختصار ، لا يمكن دخول المنزل أو مغادرته ، إلا من خلال بابه فحسب ..

لذا ، فقد توقف (أدهم) فى حجرة المعيشة ، ليدرس الأمر فى دقة ، قبل أن يقول فى حزم :

- فليكن .. ما دام الباب هو المخرج الوحيد ، فلماذا أسعى لتفاديه .

قالها ، واتجه إلى الباب ، مستطردًا فى سخرية :

أما بالنسبة لطاقم الحراسة النشط ، فهناك حتمًا استثناءات خاصة ، فى حالات الطوارئ ، والـ ....

فتح الباب ، قبل أن يتم عبارته ، وهو يستعد لمواجهة رئيس طاقم الطوارئ ، وفرض سيطرته عليه ، و ...

« مرحبًا يا سيد (أدهم) .. »

ألقى (جولدمان) العبارة ، وهو يبتسم ابتسامة ظافرة كبيرة ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، أمام باب منزل (دافيد) ، وخلفه عشرة من جنود القوات الخاصة ، يصوبون كلهم مدافعهم إلى (أدهم) ، و(جولدمان) يضيف في حزم المنتصر :

ـ بالمناسبة .. زوجة (دافيد) اسمها (ليليان) ، وليس (استر) .

قالها ، وأطلق ضحكة ظافرة عالية ، في حين أدار (أدهم) عينيه في فوهات المدافع الآلية العشرة ، المصوبة إليه في تحفز تام ، وهو يدرك أن هذا التطور الجديد يعني أنه لم يعد هناك مخرج من هذا الموقف ..

على الإطلاق .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله
ويليه الجزء الثاني بإذن الله

(المستحيل)

رقم الإيداع : ٣٦١٩



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

122

الأصابع الذهبية

- ما مصير (قدري) ، بعد أن اختطفه الإسرائيليون ، ونقلوه إلى (تل أبيب) ؟!
- كيف يصل (أدهم) إلى (تل أبيب) ، مع النطاق الأمني المحكم ، الذي فرضه (الموساد) حولها ؟!
- ترى هل ينجح (أدهم) في مهمته ، وفي استعادة (قدري) صاحب (الأصابع الذهبية) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .

العدد القادم : المستحيل

الثمن في مصر ٢٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم